مختصر

لمعة الاعتقاد الهادي

إلى

سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي

اختصره واعتنى به

د.وسيم فتح الله

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاه، وبعد،

فإن متن "لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد" لمؤلفة شيخ الإسلام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي رحمه الله تعالى من المتون المهمة في العقيدة الإسلامية، وقد تميز باختصاره وسهولة لفظه وسلاسة أسلوبه، كما أنه تميز بالاعتناء بالناحية المنهجية لتلقي العقيدة الإسلامية، وهو ما تجده واضحاً في بداية المتن، ولقد كتب الله تعالى لهذا المتن من القبول ما نرجو أن يكون علامة قبولٍ وإخلاصٍ لمؤلفه عفا الله عنا وعنه، ووسع له به في قبره، وأجزل له المثوبة في أعالي الفردوس من جناته، آمين.

ولما كان التأليف في العقائد يأتي في كثير من الأحيان استجابة لحاجة في واقع عصر المؤلف، فإننا نجد إسهاباً في الاستدلال على بعض المسائل ذات الصلة بواقعه،وهذا ما نلمسه في هذا المتن حيث أسهب المؤلف رحمه الله في ذكر بعض الأدلة المتعلقة بصفات الله تعالى بما يناسب الحال في عصره، وعليه رأيت من المناسب اختصار هذا المتن اختصاراً يسيراً تجنباً لهذا الإسهاب من جهة، وليكون أنسب بمسائل العقيدة المرتبطة بواقعنا المعاصر من جهة أخرى، مع ملاحظة أني لم أزد في المتن شيئاً من كلامي و لم أتصرف في ترتيبه، وإنما كان جهدي – بعد الاختصار ووضع العناوين – متمثلاً في الربط ببعض مسائل العقيدة المهمة في واقعنا المعاصر من خلال تعليق مختصر على مفردات هذا المتن، لتكون مسائل العقيدة حيةً في قلوبنا، ولنتمكن من الاستفادة من الميراث العلمي لسلفنا الصالح خير الاستفادة لمواجهة ما يتربص بنا اليوم من أخطار. ولقد راعيت سهولة العبارة وقربها من عامة المسلمين، و لم أقصد استيفاء مباحث المتن بالشرح والتفصيل فإن لذلك أهله وطالبيه، فلعل الله أن يمكن لهذا المختصر فيكون زاداً للمسلم اليوم في خضم معركتنا المصيرية مع قوى الطاغوت العالمي، فإن هذه العقيدة الغالية هي ما يهدف إلى انتهابه من قلوبنا وانتزاعه من صدورنا، ووالله إن انتزاع أرواحنا من أجسادنا أهون علينا من انتزاع عقيدتنا ولكن أنى يكون ذلك بدون العلم! فالله تعالى أسأل القبول، والعفو منه على الزلل مأمول، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وكتب/

الفقير إلى عفو ربه

وسيم فتح الله

غرة شوال ١٤٣١هجرية

٩ أيلول ٢٠١٠ ميلادية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة في الثناء على الله تعالى

قال المصنف رحمه الله:

الحمد لله المحمود بكل لسان في كل زمان، الذي لا يخلو من علمه مكان، ولا يشغله شأنٌ عن شأن. جلَّ عن الأشباه والأنداد، وتنزّه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد.

الشرح:

(**الحمد**) هو الثناء على الله تعالى، ومن عرف الله تعالى أثنى عليه لا محالة، فالعبد الذاكر لا يفتر عن الثناء على ربه ومولاه بما هو أهلٌ له، ولا يغفل عن تسبيحه وتنزيهه عما لا يليق به.

والله تعالى هو (**المحمود**) أي: المستحق للمحامد الكاملة المنزهة عن كل نقص لا يليق بجلال الله وعظَمته.

وقوله: (**بكل لسان**): عامٌ في جميع المخلوقات، قال تعالى: {تُسبِّح له السماوات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيءٍ إلا يُسبِّح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً}[١].

وقوله: (**لا يخلو من علمه مكان**) أي: أن الله تعالى مع جميع مخلوقاته بعلمه الذي وسع كل شيء، خلافاً لما يقوله أهل الزيغ من أن الله تعالى في كل مكان بذاته تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل هو مع مخلوقاته بعلمه كما أخبر سبحانه: {ألم ترَ أن الله يعلم ما في السماوات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثةٍ إلا هو رابعهم ولا خمسةٍ إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم يُنبِّئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيءٍ عليم}[٢]، فهذه معيَّةُ العلم، فتنَّبه.

وقوله (**لا يشغله شأنٌ عن شأن**) أي: أن الله تعالى قائمٌ على كل مخلوقاته شهيدٌ عليهم في كل أحوالهم، لا تُعجزه حاجات بعض خلقِه عن بعض كما قال تعالى: {يسأله مَن في السماوات والأرض كلَّ يومٍ هو في شأن}[٣]، ولا يشغله شهود شيءٍ عن شيء كما قال تعالى: {وما تكون في شأنٍ وما تتلوا منه من قرآنٍ ولا تعملون من عملٍ إلا كنا عليكم شهوداً إذ تُفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتابٍ مبين}[٤]

---

[١] الإسراء - ٤٤
[٢] المجادلة - ٧
[٣] الرحمن - ٢٩
[٤] يونس - ٦١

وقوله (**جلَّ**) أي: تنزه وترفع، (**عن الأشباه**): جمع شبيه أي ليس له مثيل، (**والأنداد**) جمع ند، أي: ليس له نظيرٌ سبحانه، وهذا المعتقد الجليل تصديق قوله تعالى: {ليس كمثله شيءٌ وهو السميع البصير}[1]، وهذه الآية العظيمة قاعدةٌ إيمانيةٌ جليلة تبين لنا منهج الاعتقاد السليم في أسماء الله وصفاته، فنثبت ما أثبته سبحانه وتعالى لنفسه دون أن نشبهه بشيءٍ من مخلوقاته، وننزهه عما لا يليق بجلاله وعظيم سلطانه دون أن ننفي ما أثبته لنفسه سبحانه، فهو السميع بسمعٍ لا نظير له ولا نقص فيه ولا مشابهة لسمع غيره سبحانه وتعالى،

وعنوان هذا المنهج العقدي: تنزيهٌ دون تعطيل، وإثباتٌ دون تمثيل. فنتزه الله تعالى عن أن يكون بصره كبصر أحدٍ مِن خلقه دون أن ننفي صفة البصر، ونؤمن أن الله تعالى بصيرٌ دون أن نتوهم مماثلة بصره لبصر أحدٍ من المخلوقين.

قوله (**وتنزه عن الصاحبة والأولاد**) أي: ترفَّع سبحانه وتعالى عن أن يكون له زوجة أو ولد، وهذا مصداق قوله تعالى: {أنَّى يكون له ولدٌ ولم تكن له صاحبة}[2] أي لم تكن له زوجة، وقال تعالى: {وأنه تعالى جَدُّ ربنا ما اتخذ صاحبةً ولا ولداً}[3]، وهذا تذكيرٌ بعقيدة أعداء الله تعالى من المغضوب عليهم والضالين، وتنبيهٌ على جريمتهم الشنعاء حين شتموا رب العالمين، فعن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"قال الله: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله اتخذ الله ولداً، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفأً أحد"[4]. فليحذر المسلم الغيور المحبُّ لربه من أن يراه مولاه على ودٍ ومحبةٍ وأُنسٍ مع من يكذبه ويشتمه، وليحذر المسلم المخلص لربه من أن يسمعه مولاه وهو يهنئ من يشتمه بِعيدٍ ديني يقوم على نسبة الولد لله، قال تعالى: {وقالوا اتخذ الرحمن ولداً. لقد جئتم شيئاً إدًّا. تكاد السماوات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتَخِرُّ الجبال هدًّا. أن دَعَوا للرحمن ولداً. وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً. إن كل من في السماوات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً}[5].

وقوله (**نفذ حكمه في جميع العباد**) أي: لا رادَّ لقضائه ولا ناقض لحُكمه، وهذا تصديق قوله تعالى: {والله يحكم لا مُعَقِّبَ لحكمه وهو سريع الحساب}[6]، قال الإمام الطبري رحمه الله:"والله هو الذي يحكم فينفذ حكمه، ويقضي فيمضي قضاؤه".

---

[1] الشورى - ١١
[2] الأنعام - ١٠١
[3] الجن - ٣
[4] صحيح البخاري – حديث ٤٦٩٠
[5] مريم – ٨٨-٩٣
[6] الرعد - ٤١

فصل في توحيد الأسماء والصفات

قال المصنف رحمه الله:

له الأسماء الحسنى والصفات العلى، {الرحمن على العرش استوى. له ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى. وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى}[1]، موصوفٌ بما وصف به نفسه في كتابه العظيم، وعلى لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**له الأسماء الحسنى**) أي: لله تعالى ما أثبته لنفسه العليَّة من الأسماء الحسنة الدالة على الكمال المطلق، وهذا تصديق قوله تعالى: {الله لا إله إلا هو له الأسماء الحسنى}[2]، وقوله تعالى: {هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم. هو الله الذي لا إله إلا هو الملك القُدُّوس السلام المؤمن المهيمن العزيز الجبار المتكبر سبحان الله عما يُشركون. هو الله الخالق البارئ المُصوِّر له الأسماء الحسنى يُسبح له ما في السماوات والأرض وهو العزيز الحكيم}[3]، وهذا الإيمان بما أثبته الله تعالى لنفسه العلية من أسماء فيه ردٌّ على الملاحدة الذين يجحدون أسماء الله تعالى فينكرون أنه الخالق وأنه الملك وأنه الحكيم، وقد أمرنا تعالى أن ندعوه بأسمائه الحسنى ونهجر الزنادقة الملحدين المكذبين بها فقال سبحانه وتعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يُلحدون في أسمائه سيُجزون ما كانوا يعملون}[4].

قوله (**والصفات العُلى**): صفة الشيء حليته ونعته، والعُلو: الرفعة، وصفات الله تعالى كلها نعوت جلالٍ وكمالٍ كما يليق بذاته القدسية، وقد أخبرنا الله تعالى كيف وصفه نبيه موسى عليه السلام لفرعون: {قال فمن ربكما يا موسى. قال ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى}[5]، فوصف الله تعالى بالخلق والهداية، وهما صفتا كمال لا تليقان بغير الله عز وجل، ولا تنسبان على الكمال – أعني الخلق بمعنى الإيجاد من عدم، والهداية التي هي هداية التوفيق – إلا لذاته العلية.

---

[1] طه – ٥-٧
[2] طه - ٨
[3] الحشر -٢٢- ٢٤
[4] الأعراف - ١٨٠
[5] طه – ٤٩-٥٠

والآيات من سورة طه تدل على إثبات صفتي الاستواء على العرش والعلم لله سبحانه وتعالى، وهما صفتا كمالٍ تليقان بالله تعالى كما وصف بهما نفسه العليَّة متزهاً عن أي نقص أو مشابهةٍ للمخلوقين.

وقوله (**موصوفٌ بما وصف به نفسه في كتابه العظيم وعلى لسان نبيه الكريم صلى الله عليه وسلم**) أي: أن أسماء الله وصفاته توقيفية، أي متوقفة على خبر الوحي. فطريق العلم بأسماء الله وصفاته هو الخبر الوارد في القرآن الكريم أو السنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

فصل في حجية القرآن والسنة

قال المصنف رحمه الله:

وكل ما جاء في القرآن أو صح عن المصطفى عليه السلام من صفات الرحمن وجب الإيمان به، وتلقيه بالتسليم والقبول، وترك التعرض له بالرد والتأويل والتشبيه والتمثيل، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا}[1].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وكل ما جاء في القرآن**) المراد منه في هذا الموضع ما يتعلق بصفات الله تعالى كما سيأتي،

و(**القرآن**): كلام الله العربي المعجز المنزَّل على محمد صلى الله عليه وسلم المنقول بالتواتر. فيخرج بهذا الكتب السماوية السابقة لأنها حُرِّفت وبُدِّلت ولم يتكفل الله تعالى بحفظها، فنحن نصدِّق بها على وجه الإجمال، ونعرِض ما فيها مما بين أيدينا اليوم على ما صحَّ عن الوحي المعصوم قرآناً وسنَّة؛ فنصدِّقُ ما وافقه، ونكذِّب ما خالَفَه، ونتوقف فيما لم يصدقه الوحي أو يكذبه.

وقوله (**أو**): حرف عطف والأصل فيها أن تدل على أحد الأمرين، وهي هنا تدل على أن السنة الصحيحة دليلٌ مستقلٌ بذاته لا يفتقر إلى دليلٍ موافقٍ من القرآن،

وقوله (**صحَّ عن المصطفى عليه السلام**) : خرج به الأحاديث الضعيفة والموضوعة المنسوبة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يقيِّد السنة الصحيحة بالمتواترة لأن التواتر ليس شرطاً لقبول السنة الصحيحة والإيمان بما فيها والعمل بمقتضاها.

وقوله (**من صفات الرحمن**) : من بيانية؛ وصفات جمع صفة، وهي ما أخبر به الله سبحانه وتعالى عن نفسه من نعوت كماله سبحانه وتعالى.

قوله (**وجب الإيمان به**) أي: قد فرض الله تعالى على المكلّف أن يؤمن بما أخبر الله تعالى عن نفسه العليَّة من الصفات،

---

[1] آل عمران - ٧

والإيمان: تصديق الخبر، والانقياد للشرع؛ وفي باب الصفات معناه أن نصدِّق بما أخبر به الوحي من صفات الله تعالى وننقاد لما يترتب على هذا الاعتقاد من أثر،

قوله (**وتلقيه بالتسليم والقبول**): **التسليم** هو الانقياد وضده الإعراض، وهذا تصديقٌ لقوله تعالى:{فلا وربك لا يؤمنون حتى يُحكِّموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويُسلِّموا تسليماً}[١]،

والقبول: الأخذ مع الرضا، وضده الرد، وهذا تصديق قوله تعالى: {وما كان لمؤمنٍ ولا مؤمنةٍ إذا قضى الله ورسوله أمراً أن يكون لهم الخِيَرة من أمرهم}[٢].

قوله (**وترك التعرض له**) أي: التعرض لما ورد في النص الصحيح الثابت في القرآن أو السنة من صفات الله عز وجل بشيء غير التسليم والقبول، وضرب لذلك أمثلةً فقال:

(**بالرد**) أي: التكذيب والجحود والإنكار،

ومثاله تكذيب اليهود لعنهم الله بما أثبته الله تعالى لنفسه من صفة الغنى حيث قال عز وجل: {يأيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد}[٣]، وقد فضح الله كفرَ اليهود وتكذيبهم بهذه الصفة حيث قال: {لقد سمع الله قول الذين قالوا إن الله فقيرٌ ونحن أغنياء}[٤]،

ومثاله أيضاً ما أثبته الله تعالى لنفسه العليَّة من صفة الوحدانية في قوله تعالى: {قل هو الله أحد}[٥]، فكذبت النصارى بهذه الصفة وأنكرت وحدانية الله وأثبتت له الولد وفضح الله كفرهم فقال: {وقالوا اتخذ الرحمن ولداً}[٦]،

وقد يكون التكذيب بأثرٍ من آثار هذه الصفة، ومثاله ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفة الرضا في قوله تعالى: {لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة}[٧] وهم الصحابة رضوان الله عليهم، فإن من أثر رضا الله على العبد أن يوفقه للموافاة على الإيمان، فتجد من ينكر بلسان حاله هذه الصفة حين يسب الصحابة وينسبهم إلى الفسق والكفر، فكأنه يُنكر رضا الله عنهم، ويُكذِّب الله تعالى فيما أخبر به والعياذ بالله، فتأمل هذا فإنه دقيقٌ جداً.

وقد يكون التكذيب والإنكار بلسان الحال، ومثاله ما أثبته الله تعالى لنفسه من صفة الحكمة في قوله تعالى: {وهو القاهر فوق عباده وهو الحكيم الخبير}[٨]، فإذا بالمكلَّفين ينكرون حكمة الله في تشريعه ويردون شريعته ويحكمون بغير ما أنزل الله تعالى، وهذا ردٌ لحكمُ الله تعالى وحكمته، قال تعالى:

---

[١] النساء - ٦٥
[٢] الأحزاب - ٣٦
[٣] فاطر - ١٥
[٤] آل عمران - ١٨١
[٥] الإخلاص - ١
[٦] مريم - ٨٨
[٧] الفتح - ١٨
[٨] الأنعام - ١٨

{أفغير الله أبتغي حَكَماً وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مُفَصَّلاً}[1]، قال ابن كثير:" {أفغير الله أبتغي حكماً} أحاكم إليه ، وأتقيد بأوامره ونواهيه. فإن غير الله محكومٌ عليه، لا حاكم. وكل تدبيرٍ وحكمٍ للمخلوق فإنه مشتملٌ على النقص والعيب والجور. وإنما الذي يجب أن يُتخذ حاكماً هو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. {وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلاً} أي: موضَّحاً فيه الحلال والحرام، والأحكام الشرعية، وأصول الدين وفروعه، الذي لا بيان فوق بيانه، ولا برهان أجلى من برهانه، ولا أحسن منه حكماً، ولا أقوَم قيلاً، لأن أحكامه مشتملة على الحكمة والرحمة".

ومن الرد بالمعنى الأخير نوعٌ خاص يتعلق بالسنة الصحيحة وهو رد من ينكر حجية السنة، فلا يقبل في باب الصفات ولا في العقيدة عموماً شيئاً من السنة الصحيحة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا هو المروق من الدين بلا ريب، لأنه ردٌ لحكمة الله في إرسال الرسل، إذ لا معنى لإرسال الرسول إذا لم تكن سنته حجةً على المرسَل إليهم!

قوله (**والتأويل**) أي: صرف اللفظ عن معناه الظاهر إلى معنى آخر دون قرينة سائغة. ومثاله في باب الصفات تأويل صفة الرضا والمحبة بأنها ثواب الله تعالى، وهذا تأويلٌ باطل لا تحتمله اللغة، ولا تدل عليه قرينة، فصفات الله تعالى قديمةٌ غيرُ مخلوقة، وثواب الله تعالى مخلوق، وظاهرٌ ما في هذا التأويل من الفساد.

وقوله (**والتشبيه**) أي: التمثيل – وهما بمعنى – والمراد إثبات الشبه بين صفات الله تعالى وصفات المخلوقين، وقد نفى الله تعالى عن نفسه الشبيه والمثيل فقال: {ليس كمثله شيء}[2] مع إثباته الصفات لنفسه العليَّة {وهو السميع البصير}[3] فدل أنه سميعٌ بسمعٍ لا كسمع المخلوقين، بصيرٌ ببصر لا كبصر المخلوقين، وهكذا في سائر الصفات نثبتها دون تشبيه، ونتره الله تعالى عن النقص فيها دون نفيٍ لها ولا تعطيل.

قوله (**والتمثيل**) أي: أن يُضرب المثل لله تعالى، وهو حرام منهي عنه بنص القرآن، قال تعالى: {فلا تضربوا لله الأمثال}[4]، قال الإمام البغوي:"يعني الأشباه، فتُشبِّهونه بخلقه، وتجعلون له شريكاً، فإنه واحدٌ لا مثل له".

وقوله (**اتباعاً لطريق الراسخين في العلم**) أي: نؤمن بهذه الصفات حال كوننا مقتفين أثر من سلف من القرون المفضلة من الصحابة فمن بعدهم، ممن ثبتت أقدامهم على طريق الحق، وورثوا علم النبوة، فآمنوا بهذه الصفات وصدَّقوا بها وانقادوا لها دون أن يتعرضوا لها بشيء من أنواع الرد والإلحاد.

وقوله (**الذين أثنى الله عليهم**) أي: مدحهم الله تعالى،

---

[1] الأنعام - ١١٤
[2] الشورى - ١١
[3] الشورى - ١١
[4] النحل - ٧٤

وقوله (**في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى: {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا}**[1]): الواو في الآية للاستئناف،

(**والراسخون**): الرسوخ: الثبوت على الشيء، وجملة يقولون خبر، وهذا كقوله تعالى: {آمن الرسول بما أُنزل إليه من ربه والمؤمنون كلٌ آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرِّق بين أحدٍ من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا}[2]، فاستحقوا بهذا الإيمان الثابت مدح الله تعالى لهم ولمن سار على سننهم.

---

[1] آل عمران - ٧
[2] البقرة - ٢٨٥

فصل في التأويل المذموم

قال المصنف رحمه الله:

وقال الله تعالى في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: {فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله}[١]، فجعل الله ابتغاء التأويل علامةً على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**في ذم مبتغي التأويل**) : الذم ضد المدح، ومعناه اللوم في الإساءة، وابتغاء الشيء القصد إليه.

وقوله (**متشابه تنزيله**) أي: الآيات المتشابهة في القرآن الكريم،

والمقصود بالتشابه اصطلاحاً: ما استأثر الله تعالى بعلمه على التعريف المختار. والمعنى أن آيات القرآن التي تتعلق بالصفات نؤمن بها ونسلم لها وننقاد لمعانيها الظاهرة دون أن نتكلَّف لها التأويلات التي تحيل اللفظ عن ظاهر معناه، ودون أن نتخيل أو نفرض لها كيفياتٍ تعجز عقول المخلوقين عن إدراك كنهها، فنؤمن باللفظ ونعمل بمقتضى المعنى ولا نخوض فيما وراء ذلك، لأن الخوض فيه بالتأويل مذموم، وهو سبيل الزائغين الذين فضحهم الله تعالى في الآية التي أوردها المصنف، وحذَّر منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم؛

فعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكَماتٌ هنَّ أمُّ الكتاب وأُخَرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا وما يذَّكر إلا أولوا الألباب}[٢]، قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" فإذا رأيت الذين يتَّبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمَّى الله فاحذروهم"[٣]،

وقوله (**فجعل اللهُ ابتغاء التأويل علامةً على الزيغ**) أي: التأويل المذموم الذي يُصرف به اللفظ عن ظاهره بلا قرينةٍ مرجحة أو يُعطَّل معناه أو يُخاضُ فيه بغير علم،

---

[١] آل عمران - ٧
[٢] آل عمران - ٧
[٣] متفق عليه واللفظ للبخاري حديث ٤٢٧٣

و(**العلامة**) السمة الدالة على الشيء،

و(**الزيغ**): الانحراف عن طريق الحق

وقوله (**وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم**) أي: أن المقصد الثاني من مقاصد المتأولين بالباطل الخائضين في كتاب الله بغير طريق الحق– وهو ابتغاء الفتنة – مذمومٌ أيضاً.

وهذه الفتنة هي الملازمة لأهل البدع؛ حيث يجعلون أصولهم البدعية سيفاً مسلَّطاً على رقاب المسلمين يمتحنونهم بها،

فعن أبي قلابة – من ثقات التابعين – قال: ما ابتدع رجلٌ بدعة إلا استحلَّ السيف،

قلت: أي: استحل دماء المسلمين.

فصل في منهج فهم نصوص الوحي

قال المصنف رحمه الله:

قال الإمام أحمد بن حنبل في قول النبي صلى الله عليه وسلم: "إن الله يتزل إلى سماء الدنيا"[1]، وقوله صلى الله عليه وسلم:"إن الله يُرى في القيامة"[2]، وما أشبه هذه الأحاديث: نؤمن بها، ونُصدِّق بها، ولا نرد منها شيئاً، ونعلم أن ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم حق، ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه، ولا نتعدى ذلك، ونؤمن بالقرآن كله مُحكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفةً من صفاته لشناعةٍ شُنِّعت، ولا نتعدى القرآن والحديث.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**الإمام أحمد بن حنبل**): هو إمام أهل السنة الفقيه المحدِّث، صاحب المسند الذي جمع فيه نحواً من ثلاثين ألف حديث، إليه يُنسب المذهب الحنبلي في الفقه، كان شديداً على أهل البدع رحمه الله تعالى ورضي الله عنه، قال ابنه عبد الله بن أحمد بن حنبل: لما حضرت أبي الوفاة جلست عنده وبيدي الخرقة لأشد بها لحييه، فجعل يغرق ثم يفيق ثم يفتح عينيه، ويقرأ بيده هكذا: لا بعد! لا بعد! ففعل هذا مرة وثانية، فلما كان في الثالثة قلت له: يا أبتِ! أي شيء هذا قد لهجت به في هذا الوقت تغرق حتى نقول قد قضيت ثم تعود فتقول لا بعد؟ فقال لي: يا بني، ما تدري؟ قلت: لا، قال: إبليس لعنه الله قائمٌ حذائي عاضٌ على أنامله يقول: يا أحمد، فتني! فأقول له: لا بعد، حتى أموت.

وحديث (**"إن الله يتزل إلى السماء الدنيا"**) : هو المعروف بحديث التزول، وهو حديث صحيح، والشاهد منه صفة التزول وهي من الصفات الفعلية فعلاً يليق بجلال الله وكماله لا نتوهم فيها نقصاً ولا مشابهة للمخلوقين،

(**وقوله صلى الله عليه وسلم:"إن الله يُرى يوم القيامة"**) أي: يراه المؤمنون كما في قوله تعالى: {وجوهٌ يومئذٍ ناضرة. إلى ربها ناظرة}[3]،

---

[1] صحيح البخاري – حديث ١٠٩٤، وصحيح مسلم – حديث ٧٥٨، وسيأتي بتمامه

[2] أحاديث رؤية الله يوم القيامة صحيحة، انظر: صحيح البخاري – حديث ٥٤٧، وصحيح مسلم - ١٨٣

[3] القيامة – ٢٢-٢٣

وقول المصنف (**وما أشبه هذه الأحاديث**) أي : التي ورد فيها من صفات الله عز وجل ما قد يستشكله البعض،

وقوله (**نؤمن بها**) أي: نصدق بها وننقاد لها،

وقوله (**ولا نرد منها شيئاً**) أي: لا يحملنا استشكال شيء منها على التكذيب بها، فإن ما صح به الخبر وجب قبوله والإيمان به والعمل بمقتضاه، ولا نخوض في كيفيته وكنهه، بل نثبت اللفظ والمعنى ونكل الكيفية إلى الله تعالى.

وقوله (**ونعلم أن ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حق**) أي: نؤمن بذلك إيماناً قاطعاً ويقيناً راسخاً لا يساوره شك ولا تطرأ عليه ريبة.

وقوله (**ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه**) أي: أن العلم بصفات الله تعالى توقيفي لا اجتهاد فيه ولا تخوض بغير علم، فما وصف الله تعالى نفسه به وأخبرنا به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم أثبتناه، وما عدا ذلك توقفنا،

وقوله (**ولا نتعدى ذلك**) أي: لا نتجاوز طريق الوحي الصحيح قرآناً أو سنة في إثبات صفة لله تعالى، قال تعالى: {ولا تقفُ ما ليس لك به علم}[1]، وقد صح في الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"أسألك بكل اسمٍ هو لك، سميت به نفسك، أو أنزلته في كتابك، أو علمته أحداً من خلقك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك"[2]، فدل على أنه لا سبيل إلى معرفة أو إثبات أسماء الله تعالى الحسنى وصفاته العلى إلا بطريق النقل الصحيح عن الوحي.

وقوله (**ونؤمن بالقرآن كله مُحكمه ومتشابهه**) أي: لا نفرق بين آية من القرآن فهمنا معناها وآية مشتبهة استأثر الله تعالى بعلمها، بل نؤمن بكل ونعمل بكل وفق ما فتح الله تعالى علينا من العلم بها.

وقوله (**ولا نزيل عنه صفةً من صفاته لشناعةٍ شُنِّعت**) أي: إن تحير العقول في فهم النص الثابت عن الوحي ليس عذراً في رد النص، فإن الشريعة لا تأتي بمحالات العقول - أي بما يحيله العقل- ولكنها قد تأتي بمحارات العقول أي بما يحيرها.

وموقف المسلم من النص الصحيح الذي يحار فيه العقل القبول والرضا والتسليم دون تكذيب أو خوض في المعنى بغير علم، فما ثبت من صفات الله تعالى وغيرها من الأمور الغيبية التي تعجز عقولنا عن تصور أو إدراك كنهها وجب علينا أن نقف بعقولنا عنده، ولا نكذب خبر الله سبحانه.

وقوله (**ولا نتعدى القرآن والحديث**) أي: الحديث الصحيح لأنه السنة الصحيحة هي الأصل الثاني من أصول الدين، وهي شقيقة القرآن ومثيلته في الحجية والاعتبار.

---

[1] الإسراء - ٣٦

[2] صحيح ابن حبان – حديث ٤٣١٨

قال المصنف رحمه الله:

قال الإمام محمد بن إدريس الشافعي:"آمنت بالله وبما جاء عن الله على مراد الله، وآمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم، وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم على مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**الإمام محمد بن إدريس الشافعي**) : القرشي المطلبي، إمامٌ فقيه، حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، وحفظ الموطأ وهو ابن عشر سنين، وكان يفتي وهو ابن خمس عشرة سنة. قال الإمام أحمد:" إن الله تعالى يقيِّض للناس في رأس كل مائة سنة من يعلمهم السنن وينفي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم الكذب، فنظرنا؛ فإذا في رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وفي رأس المائتين الشافعي"، كتب عبد الرحمن بن مهدي إلى الشافعي وهو شاب أن يضع له كتاباً فيه معاني القرآن، ويجمع قول الأخيار فيه، وحجة الإجماع، وبيان الناسخ والمنسوخ من القرآن والسنة، فوضع له كتاب الرسالة، وقال عبد الرحمن بن مهدي:"ما صليت صلاةً إلا وأنا أدعو للشافعي بها"،

وقوله رحمه الله (**آمنت بالله وبما جاء عن الله**) أي: إن هذه عقيدة الإمام الشافعي فيما يتعلق بالأسماء والصفات الواردة في القرآن، وهي عقيدة أساسها التصديق بما أخبر الله به عن نفسه والانقياد لهذا الخبر.

وقوله (**على مراد الله**) أي: دون تأويلٍ مخالفٍ لمعنى الخبر، فصفة السمع على حقيقتها ولا ندرك كنهها، وصفة البصر على حقيقتها ولا ندرك كنهها، وصفة العلو على حقيقتها ولا ندرك كنهها، فإذا أشكل المعنى آمنا وصدَّقنا وتوقفنا عن الخوض فيه بالتأويل أو التعطيل، ولم نجترئ عليه بالتمثيل والتشبيه.وهذا سبيل الراسخين في العلم كما في قوله تعالى: {والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا}[1].

وقوله (**آمنت برسول الله صلى الله عليه وسلم**) أي: صدّقته وتابعته وانقدت لأمره،

وقوله (**وبما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم**) أي: بالسنة الصحيحة الثابتة عن طريق نقل العدول الثقات، فإذا صحَّ الحديث فهو حجة في الخبر عن الله تعالى لا فرق في ذلك بين العقيدة والعبادة،

---

[1] آل عمران - ٧

وقوله (**مراد رسول الله صلى الله عليه وسلم**) أي: نؤمن بهذه الأحاديث الواردة في الصفات وغيرها من الأمور الغيبية التي لا تدرك عقولنا كنهها بالتسليم والرضا، ونتوقف عن الخوض فيما لم يبينه لنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ونلتزم هدي صحابته في عدم التقعر والتعمق فيها بغير علم.
والخلاصة من قول الشافعي رحمه الله: التصديق والإقرار والتسليم بما جاء عن الله ورسوله صلى الله عليه وسلم من صفات الله تعالى مع إثبات هذه الصفات ومعانيها لله تعالى دون خوض في كيفيات هذه المعاني.

قال المصنف رحمه الله:

وعلى هذا درج السلف وأئمة الخلف رضي الله عنهم، كلهم متفقون على الإقرار والإمرار والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم من غير تعرُّضٍ لتأويله.وقد أُمرنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحُذرنا المحدثات وأُخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدَثةٍ بدعة، وكل بدعةٍ ضلالة"[1].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وعلى هذا**) أي: هذا المنهج في إثبات الصفات دون تمثيل، وتتريه الله عن النقص دون تعطيل،
وقوله (**درج السلف**) أي : درج بمعنى مشى، ودرج القوم أي انقرضوا، وكأنهم ماتوا على هذا المنهج السليم، والسلف هم القرون الثلاثة المفضلة الصحابة والتابعون وتابعو التابعين، وهي القرون التي أشار إليها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "خيركم قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم"[2]، وخيرهم قرن الصحابة كما قال تعالى: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار}[3]

[1] أخرجه الترمذي – حديث ٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة – حديث ٤٢، والدارمي في سننه – حديث ٩٥، وأحمد في مسنده – حديث ١٧١٨٤
[2] صحيح البخاري – حديث ٢٥٠٨
[3] التوبة - ١٠٠

وقوله (**أئمة الخلَف**): الأئمة جمع إمام وهو كل من اقتدى به قوم، والمقصود بالأئمة العلماء الربانيين الملازمين للصراط المستقيم الذين وصفهم الله تعالى بعد ذكر المهاجرين والأنصار فقال: {والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه}[1]، و(**الخَلَف**) : القرن أو الجيل يأتي بعد الجيل،

قوله (**كلهم متفقون**) أي: السلف وأئمة الخلف من أهل السنة والجماعة

وقوله (**على الإقرار والإمرار والإثبات**): فهذه ثلاث مراتب للإيمان بالصفات:

أولها: **الإقرار** وهو التصديق بما صح وروده عن طريق الوحي قرآناً وسنةً،

وثانيها: **الإمرار** وهو إثبات معانيها دون تأويل أو تعطيل أو تشبيه،

وثالثها: **الإثبات** أي وصف الله تعالى بما وصف به نفسه تقدَّست أسماؤه وتنزهت صفاته عن مشابهة صفات المخلوقين، ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

وقوله (**وقد أُمرنا بالاقتفاء لآثارهم**) أي: أن الله تعالى أمرنا بذلك، قال تعالى: {والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً ذلك الفوز العظيم}[2]، وقال تعالى: {ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نولِّه ما تولى ونُصلِه جهنم وساءت مصيراً}[3]،

وقوله (**الاهتداء بمنارهم**): الاهتداء افتعال من الهدى أي طلب الهداية، و**المنار**: العلَم يُجعل للطريق ليستدل به السائرون، وهذا يدل على وجوب التزام منهج القرون المفضلة في الإيمان بآيات الصفات وغيرها من الغيبيات التي وردت بطريق الوحي الصحيح؛ فنؤمن بها كما آمن الصحابة ومن بعدهم، ولا نخوض فيها كما لم يخوضوا فيها، ونثبتها لله تعالى كما أثبتوها منزهين لله تعالى عن النقائص ومثنين على الله تعالى بما أثنى على نفسه من نعوت الكمال والجلال.

وقوله (**حُذرنا المحدثات**) أي: حذرنا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم من المحدثات؛ جمع محدثة وهي كل أمر مبتدع مخترع في الدين؛ فمن ذلك أن نخوض فيما لا علم لنا به كما قال تعالى:{أتقولون على الله ما لا تعلمون}[4]، أو أن نبتدع في شرعه ما لم يرد عن الشارع كما في قوله تعالى:{أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله}[5]، وصح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[6].

---

[1] التوبة - ١٠٠
[2] التوبة - ١٠٠
[3] النساء - ١١٥
[4] يونس - ٦٨
[5] الشورى - ٢١
[6] صحيح مسلم - ١٧١٨

قوله (**والضلالات**): جمع ضلالة، ضد الهدى والرشاد، وهي ترد بصيغ الجمع لكثرة طرق الأهواء الباطلة وتشعبها، أما طريق الحق فواحد هو الصراط المستقيم، وهذا كقوله تعالى: {الر كتابٌ أنزلناه إليك لتُخرج الناس من الظلمات إلى النور بإذن ربهم إلى صراط العزيز الحميد}[١].

وقوله صلى الله عليه وسلم (**عليكم بسنتي**) أي: يجب عليكم أن تتمسكوا بسنتي، والسنة الطريقة المتبعة، والمقصود بها اصطلاحاً هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في أصول الدين، خلافاً للبدعة.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي**): **الخلفاء** جمع خليفة، والراشدون نعت، والرشد ضد الغي، المهديين اسم مفعول من الهداية ضد الضلالة، والمقصود بهم الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أبوبكر وعمر وعثمان وعلي وسيأتي مزيد بيان لمترلتهم لاحقاً.

والمقصود بالخليفة في اصطلاح السياسة الشرعية منصب الإمامة الكبرى، وقد عرفها الماوردي رحمه الله فقال:"الإمامة موضوعةٌ لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"، ولقد كان للخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أكمل حظ وأوفر نصيب من هذا التعريف، والمعنى من الحديث أن سنة الخلفاء الأربعة سنة شرعية ملزمة لا يجوز لأحد أن يحيد عنها.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**عضوا عليها بالنواجذ**): جمع ناجذة وهي أواخر الأضراس، أي: تمسكوا بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين كما يتمسك العاض بجميع أضراسه.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**وإياكم ومحدثات الأمور**) أي: احذروا الابتداع في الدين؛ سواء أكانت البدعة عقدية أو عملية، وسواء أكانت في أصول الدين أو عباداته وشعائره الظاهرة،

وليعلم كل مسلم أنه ما من عمل يعمله إلا ينشر له فيه ديوانان؛

- الديوان الأول: لم عملت؟
- والثاني: كيف عملت؟

فلا يسلم له الأول إلا أن يكون العمل خالصاً لله تعالى، ولا يسلم له الثاني حتى يكون العمل موافقاً للسنة، فمهما تخلف أحد شرطي القبول تخلف القبول وحبط العمل، نسأل الله السلامة والعافية.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**فإن كل محدثة بدعة**) أي: أن كل إحداث في الدين فهو بدعة مذمومة، وضابط البدعة أن يُتعبد لله تعالى بما لم يشرع أصله ولا صفته بالفعل أو الترك وكان الداعي له موجوداً والمانع مفقوداً زمان النبوة؛

فمعنى: يُتعبد لله به: معناه أن البدعة مقصودٌ بها التقرب إلى الله بالفعل من حيث هو فعل، فركوب السيارة ليس ببدعة لأنه لا يُتعبد بذات الفعل، أما الرقص في حلقات الذكر فمقصود به التعبد

---

[١] إبراهيم - ١

وكذلك اتخاذ عيد غير عيدي الفطر والأضحى فالعيد شعيرة من شعائر الإسلام، فمن زاد عليهما فقد ابتدع،

و بما لم يشرع أصله: أن هذا الفعل لا أصل له في الشرع كالاحتفال بمولد نبيٍ من الأنبياء، فهذا ليس له أصلٌ في الدين،

ولا صفته: أن الفعل قد يكون مشروعاً في الأصل كصيام النافلة، ولكن تحدث له صفة إضافية كتخصيص يوم معين بالصيام لاعتقاد فضيلة لم تثبت بالشرع، فهذا تخصيص في صفة الفعل المشروع في الأصل بصفةٍ غير مشروعة،

بالفعل: كأن يُحدث صلاةً بصفةٍ مخصوصة لا أصل لها أو ينذر نذراً لا أصل له، والترك: كأن يترك شيئاً من المباح بقصد التقرب إلى الله كمن ترك لبس الناعم من الثياب تقرباً إلى الله،

ومثال الفعل والترك ما ورد في حديث ابن عباس رضي الله عنهما قال:"بينا النبي صلى الله عليه وسلم يخطب إذا هو برجلٍ قائم، فسأل عنه فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: مره فليتكلم وليستظل وليقعد وليتم صومه"[١]، فالقيام مثال الفعل، وعدم الاستظلال أو الكلام مثال الترك، وقد أبطل رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الصفات المحدثة التي أدخلت على عبادة الصوم لأنه هذه الصفات غير مشروعة وإن قُصد به التقرب إلى الله، فتأمل فإن النية وحدها شرط لازمٌ غير كافٍ لقبول الأعمال.

وكون الداعي موجوداً والمانع مفقوداً زمن النبوة احتراز مما لم يتوافر الداعي لفعله أو وجد المانع الذي يمنع من فعله زمن النبوة؛

فمثال الأول: الغلو في التعبير عن حب الرسول صلى الله عليه وسلم فقد كان الداعي له موجوداً زمن النبوة إذ كان الصحابة أشد الناس حباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، ومع ذلك لم يشرع الاحتفال بمولد النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يصح إحداث هذا التعبير بعد زمن النبوة بحجة حب الرسول صلى الله عليه وسلم،

وأما توضيح الأمر الثاني وهو عدم وجود المانع زمن النبوة فمثاله جمع القرآن فإنه ليس ببدعة رغم أنه لم يفعل زمن النبوة لوجود المانع من الجمع وهو استمرار تنزل الوحي، فلما انقطع الوحي بوفاة الرسول صلى الله عليه وسلم زال المانع وكان التقرب إلى الله بهذا العمل العظيم.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**وكل بدعةٍ ضلالة**) أي: البدعة الاصطلاحية، ولا يدخل في هذا الذم البدعة بمعناها اللغوي أو استعمال لفظ البدعة على سبيل التوسع حيث وردت في كلام بعض أهل العلم ويصفونها بالحسنة، إذ أنه عند التدقيق تجد أن ما يصفونه بالبدعة الحسنة لا يدخل في التعريف الاصطلاحي للبدعة المذمومة لأن أهل العلم الذين يصفون البدعة بالحسنة على اصطلاحهم إنما

---

[١] صحيح البخاري - ٦٣٢٦

يصفون ما يقوم على دليل شرعي صحيح، وما كان له دليل شرعي صحيح ليس ببدعة ضلالة، فتبين أن الخلاف هنا خلاف لفظي اصطلاحي ولا مشاحة في الاصطلاح، فتأمل هذا.

فصل في الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع في الدين

قال المصنف رحمه الله:

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كُفيتم".

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وقال عبد الله بن مسعود**): هو الصحابي الجليل، أسلم قديماً وكان سدس الإسلام، وهاجر الهجرتين وشهد بدراً والمشاهد بعدها، وهو أول من جهر بالقرآن فأوذي في ذلك، أخذ مِن فِي النبي صلى الله عليه وسلم سبعين سورة، ولازم النبي صلى الله عليه وسلم وكان صاحب نعليه، وحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم بالكثير، قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه:"قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اقرأ عليَّ. قال: قلت: أقرأ عليك وعليك أُنزل؟! قال: إني أشتهي أن أسمعه من غيري، قال: فقرأت النساء حتى إذا بلغت {فكيف إذا جئنا من كل أمةٍ بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً}[١] قال لي: كفّ أو أمسك، فرأيت عينيه تذرفان"[٢]، وهو من علماء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

قوله (**اتَّبِعوا**): اتبعه إذا سار على أثره واقتدى به،

وقوله (**ولا تبتدعوا**) أي: لا تخترعوا طريقةً في العبادة غير الطريق المستقيم الذي سنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وسار عليه الصحابة رضوان الله عليهم،

وقوله (**فقد كُفيتم**) أي: قد قام من قبلكم بالأمر على الوجه التام الصحيح، والمقصود عصر الصحابة رضوان الله عليهم، فقد حفظوا السنة وعملوا بها ونقلوا كل ما ورد عن الوحي قرآناً وسنة، فالأحرى بمن جاء بعدهم أن يلتزم سيرتهم ويعمل بسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم التي حفظوها.

قال المصنف رحمه الله:

وقال عمر بن عبد العزيز كلاماً معناه : "قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علمٍ وقفوا ، وببصرٍ نافذٍ كفُّوا، ولَهُم على كشفها كانوا أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث

[١] النساء - ٤١
[٢] صحيح البخاري - ٤٧٦٨

بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم ورغب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقصِّر. لقد قصَّر عنهم قومٌ فجَفَوا، وتجاوزهم آخرون فغَلَوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدىً مستقيم".

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وقال عمر بن عبد العزيز**): هو أحد خلفاء الدولة الأموية، سار في خلافته بالسيرة الحسنة المحمودة، وبادر إلى رد المظالم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الذي أمر بالتدوين الرسمي للسنة النبوية بعد أن كان تدوينها قائماً على جهود الصحابة والتابعين ثم العلماء دون تكليفٍ رسمي من الدولة، ولقد كان شديد التمسك بالسنة، حريصاً على تعليم الرعية وحملهم على الشريعة، وقد كتب إلى بعض عماله وهو عدي بن عدي كتاباً جاء فيه:"إن للإيمان فرائض وشرائع وحدوداً وسنناً، فمن استكملها استكمل الإيمان، ومن لم يستكملها لم يستكمل الإيمان، فإن أعش فسأبينها لكم حتى تعملوا بها، وإن أمت، فما أنا على صحبتكم بحريص"، رحمه الله ورضي عنه وأرضاه، فقد تحققت فيه فراسة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه حيث ذُكر أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى في خلافته عن مذق اللبن بالماء، فخرج ذات ليلة في حواشي المدينة فإذا بإمرأة تقول لابنةٍ لها: ألا تمذقين لبنك فقد أصبحت؟ فقالت الجارية: كيف أمذق وقد نهى أمير المؤمنين عن المذق؟! فقالت: قد مذق الناس فامذقي، فما يدري أمير المؤمنين؟ فقالت: إن كان عمر لا يعلم، فإله عمر يعلم، ما كنت لأفعله وقد نهى عنه! فوقعت مقالتها من عمر، فلما أصبح دعا عاصماً ابنه فقال: يا بني اذهب إلى موضع كذا وكذا فاسأل عن الجارية، ووصفها له، فذهب عاصم فإذا هي جارية من بني هلال فقال له عمر: اذهب يا بني فتزوجها، فما أحراها أن تأتي بفارسٍ يسود العرب. فتزوجها عاصم بن عمر فولدت له أم عاصم بنت عاصم بن عمر بن الخطاب، فتزوجها عبد العزيز بن مروان بن الحكم فأتت بعمر بن عبد العزيز.

وقوله (**قف حيث وقف القوم**) أي: الصحابة رضوان الله عليهم، أي التزم هديهم ولا تجاوزه البتة.

وقوله (**فإنهم عن علمٍ وقفوا**) أي: أنهم لم يقفوا عن جهلٍ، بل إن ما سكتوا عن التكلم والخوض فيه من مسائل الدين، وما توقفوا عن العمل به مما لم يرد به الشرع و لم يشهدوه من السنة إنما كان عن علمٍ وهدايةٍ وتوفيق.

وقوله (**وببصرٍ نافذٍ كفُّوا**) أي: البصر الرؤية والبصر العلم وهو المقصود، قال تعالى: {فإنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور}[1]، واختيار عمر بن عبد العزيز لهذا اللفظ أعني البصر اختيارٌ موفقٌ؛ لأن الصحابة جمعوا المعنيين فإنهم قد شهدوا الرسول صلى الله عليه وسلم ورأوه رؤية عين فأخذوا عنه علم الوحي بدون واسطة، كما أنهم فهموا وعلموا مقصود الشارع من الخطاب بما وفقهم الله تعالى من سلامة اللسان العربي والفطرة والفهم عن الرسول صلى الله عليه وسلم، فهم حين يُقدمون على أمر من أمور الدين يُقدمون عن علم، وحين يمسكون عن أمرٍ من أمور الدين يمسكون عن علم.

وقوله (**ولَهُم على كشفها كانوا أقوى**) أي: هذه البدع التي يدعي أهلها أنها بدعٌ حسنة، وأن فيها الخير، وأنها من الشرع، لو كان الأمر كذلك لكان الصحابة رضي الله عنهم أقدر على كشفها واستنباطها من نصوص الوحي، فلما تبين أن الصحابة لم يفهموا هذه المعاني المحدَثة في الدين من نصوص القرآن والسنة فقد دل ذلك على بطلان هذا الفهم من المتأخرين الذين لا يملكون من قوة الفهم وبركة الصحبة ما كان يملكه الصحابة رضوان الله عليهم.

وقوله (**وبالفضل لو كان فيها أحرى**) أي: ولو ادعى أهل البدع والمحدثات أن فيها شيئاً من الفضل لبطلت دعواهم بدليل أن الله تعالى حين اختار بحكمته وعلمه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم لصحبة نبيه صلى الله عليه وسلم، وكانت هذه الصحبة أشرف ما فُضل به بنو آدم بعد فضل النبوة، فإنه تعالى ما كان ليفضلهم بهذا الشرف العظيم ثم يحرمهم من فضائل أخرى في الدين ليحابي بها قوماً آخرين من متأخري الأمة الذين هم عيال في الدين على الصحابة رضوان الله عليهم، فتأمل.

وقوله (**فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم**) أي: أن الإحداث في الدين مذمومٌ البتة، لأن الذين أحدثوا في الدين من الخلف مخالفون لهدي الصحابة في التزام الكتاب والسنة وعدم الخوض أو الابتداع فيما سكت عنه الوحي.

وقوله (**ورغب عن سنتهم**) : رغب عن الشيء: تركه متعمداً، وهذا وصفٌ مطابقٌ لأهل البدع لأنهم يتعمدون ترك سنة الصحابة المأمور باتباعها، ويسيرون وراء أهوائهم وما تشرعه لهم عقولهم فاستحقوا بذلك أعظم الذم.

وقوله (**ولقد وصفوا منه ما يشفي**) أي: أن شفاء الجهل هو سؤال أهل العلم، كما قال صلى الله عليه وسلم:"ألم يكن شفاء العِيِّ السؤال"[2]، ولقد نقل لنا الصحابة من علم الوحي الصحيح ما تقوم به الحجة ويشفى به داء الجهل، فما الحاجة إلى الإحداث في الدين؟

---

[1] الحج - ٤٦

[2] سنن أبو داود – ٣٣٧، وابن ماجة – ٥٧٢، وأحمد في مسنده – ٣٠٥٧، والحاكم في المستدرك - ٦٣٠

وقوله (**وتكلموا منه بما يكفي**) أي: أن جيل الصحابة قد كفى الأمة بعده مؤونة العلم والعمل، فما على من بعدهم سوى الاتباع والائتساء.

وقوله (**فما فوقهم محسِّر**): حسر البعير إذا أعيا وانقطع، أي أن من أفرط وزاد على هدي الصحابة وجاوز سنتهم فشأنه شأن الدواب التي يجاوز بها أصحابها حد الاعتدال فتعيا وتنقطع.

وقوله (**وما دونهم مقصِّر**) أي: أن من لم يتمسك بهدي الصحابة فقد فرَّط وضيَّع، والفرق بين هذا والذي قبله أن المقصر قد ترك هدي الصحابة و لم ينشغل بغيره وهم طرف التفريط، وأما المحسرون فهم الغلاة الذين تركوا هدي الصحابة طمعاً في الاهتداء بطريق آخر غير طريقهم وهم طرف الإفراط.

وقوله (**لقد قصَّر عنهم قومٌ فجَفَوا**): الجفاء البعد، أي أن من فرَّط في التمسك بهدي الصحابة ومنهجهم فقد ابتعد عن الطريق الحق وفارق الصراط المستقيم.

وقوله (**وتجاوزهم آخرون فغَلَوا**): الغلو مجاوزة الحد، أي أن من تجاوز ما سنه الصحابة وأحدث في الدين ما لم ينقلوه لنا فقد غلا، وقد قال تعالى منكراً على أهل الكتاب: {يا أهل الكتاب لا تغلُوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق}[١]، وقال تعالى: {قل يا أهل الكتاب لا تغلُوا في دينكم غير الحق ولا تتبعوا أهواء قومٍ قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيراً وضلوا عن سواء السبيل}[٢]

وقوله (**وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدىً مستقيم**) أي: أن الصحابة هم أصحاب الصراط المستقيم وهم العدول الوسط ما بين فريقي الإفراط والتفريط، فالسعيد من التزم هديهم، والشقي من باينهم وناصبهم العداء.

قال المصنف رحمه الله:

وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي: عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول .

الشرح:

[١] النساء - ١٧١
[٢] المائدة - ٧٧

قول المصنف رحمه الله (**وقال الإمام أبو عمرو الأوزاعي**): عبد الرحمن بن عمرو الألوزاعي، عالم أهل الشام، كان ثقةً فاضلاً مأموناً كثير الحديث والعلم والفقه، كان يقول: خمسةٌ كان عليها الصحابة والتابعون لزوم الجماعة واتباع السنة وعمارة المساجد والتلاوة والجهاد.

وقوله (**عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس**) أي: الزم السنة ولا تلتفت لرفض الناس لك ما دمت على الحق، وهذا يوافق ما أُثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: "الجماعة الكتاب والسنة وإن كنت وحدك"، وفي رواية:"الجماعة أهل الحق ولو كنت وحدك"، قلت: وهذا معنى قول الأوزاعي وإن رفضك الناس، أي أن الجماعة ليست بالكثرة ولكن بما وافق الحق،

وقوله (**وإياك وآراء الرجال، وإن زخرفوه لك بالقول**): تحذيرٌ من اتباع الهوى، قال الله تعالى:{أفرأيت من اتخذ إلهه هواه وأضله الله على علمٍ وختم على سمعه وقلبه وجعل على بصره غشاوة فمن يهديه من بعد الله أفلا تذكَّرون}[١]،

والآراء جمع رأي: وهو القول بما يراه العقل، وهو مذمومٌ إذا كان مخالفاً للنصوص الشرعية الصحيحة أو كان تأويلاً لها بغير قرينة دالة على إرادة التأويل،

والرجال: للتغليب وإلا فالرجال والنساء في هذا الحكم سواء، فلا يجوز لأحد أن يقول في الدين بمحض الرأي،

فعن الصحابي سهل بن حنيف رضي الله عنه قال:"يا أيها الناس اتهموا رأيكم على دينكم"[٢]،

وعن علي رضي الله عنه قال:" لو كان الدين بالرأي لكان أسفل الخف أولى بالمسح من أعلاه، وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يمسح على ظاهر خُفَّيه"[٣]،

و (**زخرفوه**) الزخرفة: الزينة، أي احذر أقوال الناس القائمة على محض الرأي واتباع الهوى مهما زينوه لك وزوقوه، وهذه هي حيلة إبليس كما فضحه الله تعالى في القرآن: {ولأضلنَّهم ولأمنينَّهم ولآمرنَّهم فليبتِكنَّ آذان الأنعام ولآمرنَّهم فليغيرنَّ خَلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً}[٤].

---

[١] الجاثية - ٢٣
[٢] صحيح البخاري - ٦٨٧٨
[٣] سنن البيهقي - ١٢٩٢
[٤] النساء - ١١٩

فصل في المناظرة مع أهل البدع

قال المصنف رحمه الله:

وقال محمد بن عبد الرحمن الأدرمي لرجلٍ تكلم ببدعة ودعا الناس إليها: هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟ قال: لم يعلموها، قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقول: قد علموها، قال: أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟ قال: بلى وسعهم، قال: فشيءٌ وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت؟ فانقطع الرجل. فقال الخليفة – وكان حاضراً – : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم .

وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسَّع الله عليه.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**محمد بن عبد الرحمن الأدرمي**): من أهل السنة الذين ابتلوا وامتُحنوا بفتنة القول بخلق القرآن، وهذه المناظرة جرت بينه وبين أحمد بن أبي داود في حضرة الخليفة العباسي الواثق.

وقوله (**لرجلٍ تكلم ببدعة**): هو أحمد بن أبي داود القاضي، والبدعة التي أشار إليها هي بدعة القول بخلق القرآن،

وقوله (**ودعا الناس إليها**) أي: حملهم عليها بقوة السلطان،

وهذه المناظرة التي ناظر بها السنيُّ ذلك المبتدعَ مثالٌ للجدال بالتي هي أحسن كما قال تعالى: {وجادلهم بالتي هي أحسن}[١]، ولقد كان الأساس العلمي لهذه المناظرة قول الله تعالى: {اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً}[٢] الدال على اكتمال الدين

---

[١] النحل - ١٢٥
[٢] المائدة - ٣

زمن الوحي، وقول الله تعالى: {يأيها الرسول بلِّغ ما أُنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته}[1] الدال على لزوم تبليغ الرسالة؛ ونحن نشهد أن الدين قد اكتمل بانقطاع الوحي، ونحن نشهد أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ الرسالة عن ربه، كما شهد مائة ألفٍ من الصحابة في حجة الوداع، وهذا يقتضي أنه ليس شيءٍ من أمر الدين إلا وقد بلَّغه صلى الله عليه وسلم الصحابة، وهم بدورهم بلّغوه من بعدهم، تماماً كما وصلتنا شعائر الدين وعباداته كاملة عن طريقهم، فمن الممتنع شرعاً وعقلاً أن يكون شيء من أمر الدين لم يبلغه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة من بعده لسببين: السبب الأول أن وقوع هذا معناه أن الرسول صلى الله عليه وسلم – حاشاه – لم يبلغ عن ربه وهذا باطل، والسبب الثاني أن افتراض أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم قد بلغ والصحابة قد ضيعوا معناه أن الوحي والذكر غير محفوظ، وهذا ممتنعٌ أيضاً لقوله تعالى: {إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون}[2]. فإذا تبين هذا تبين أن أي أمر أُحدث في الدين لم ينقل عن الصحابة أنهم تلقوه عن الرسول صلى الله عليه وسلم فهو باطل مردود ولا علاقة له بالدين ولا يصح اعتقاده أو التعبد به ناهيك عن حمل الناس عليه وامتحانهم به، تأمل قول النبي صلى الله عليه وسلم:"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"[3]، فهو صريح في هذا الباب.

وقوله (**هل علمها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها؟**): هذا السؤال هو مقتضى القسمة العقلية؛ فإن الأمر الذي يدعو إليه المبتدع ويزعم أنه من الدين إما أن يكون الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون المهديون قد علموه أو لا، فإن قال المبتدع: لم يعلموه! فقد ادعى أنه اهتدى إلى أمرٍ في الدين لم يهتد إليه الرسول صلى الله عليه وسلم والصحابة، وإلا فإنه على ضلالة، وهذا كما أخرج ابن وضاح عن الأوزاعي ، عن عبدة بن أبي لبابة : أن رجلاً كان يجمع الناس فيقول: رحم الله من قال كذا وكذا مرة سبحان الله، قال : فيقول القوم. فيقول : رحم الله من قال كذا وكذا مرة : الحمد لله، قال: فيقول القوم. قال: فمر بهم عبد الله بن مسعود فقال: "لقد هُديتم لما لم يهتد له نبيكم، أو إنكم لمتمسكون بذنبٍ ضلالة"،

وقوله (**قال: لم يعلموها**) : هو جواب المبتدع حيث زين له عقله الفاسد أن أمراً من الدين لم يعلمه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون،

وقوله (**قال: فشيء لم يعلمه هؤلاء أعلمته أنت؟**): هذا ردٌّ مفحم من الأدرمي رحمه الله على هذا المبتدع الذي زعم أنه اهتدى إلى ما لم يعلمه رسول الأمة ونبي الهدى صلوات الله وسلامه عليه وخيرة صحابته من بعده المأمور باتباعهم أعني الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم أجمعين،

وقوله (**قال الرجل : فإني أقول : قد علموها**) أي: أن المبتدع تراجع عن قوله،

---

[1] المائدة - ٦٧
[2] الحجر - ٩
[3] متفق عليه – البخاري – ٢٥٥٠، ومسلم ١٧١٨

وقول الأدرمي: (**أفوسعهم أن لا يتكلموا به، ولا يدعوا الناس إليه، أم لم يسعهم؟**): **السعة** خلاف التضييق، وهذا السؤال على سبيل التنزل مع الخصم؛ أي: على فرض أن زعم المبتدع أن رسول الله صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون قد علموا هذه البدعة، فهل بلّغوها ودعوا الناس إليها وحملوهم عليها أم أنه قد وسعهم ترك ذلك؟

فأجاب المبتدع: (**قال: بلى وسعهم**) أي: أنه أقر أن هذا الأمر المحدث لم يكن من أمر الدين الذي دعا إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته من بعده،

فقال الأدرمي رحمه الله: (**قال: فشيءٌ وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلفاءه لا يسعك أنت؟**) أي: كيف تضيق على الناس في أمر قد وسعه الله عليهم، وكيف تحمل الناس على شيء لم يحملهم عليه الرسول صلى الله عليه وسلم المأمور بطاعته والخلفاء الراشدون المأمور باتباع سنتهم؟ هذا على افتراض صحة دعوى المبتدع أنهم قد علموا هذا الأمر من الدين و لم يدعوا الناس إليه، وهو زعمٌ باطل كما تقدم، فكيف والحال أن هذا الأمر المحدث لا هو من الدين ولا هو مما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون، أفلا يسع هذا المبتدع أن يسكت عما سكتوا عنه، ولا يخوض في مسائل الدين والعقيدة بغير علم!

وقوله (**فانقطع الرجل**) أي: انقطعت حجته ودحضت و لم يعد لديه دليل على صحة دعواه الباطلة،

وقوله (**فقال الخليفة – وكان حاضراً – : لا وسع الله على من لم يسعه ما وسعهم**) : هو الخليفة العباسي الواثق وكانت المناظرة في حضرته، وقوله دعاء على من ضيق على الناس فيما وسعه الله تعالى عليهم من عدم إلزامهم في شيء من أمور دينهم بغير ما ثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته الأخيار. انتهت المناظرة.

وقول المصنف رحمه الله : (**وهكذا من لم يسعه ما وسع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه والتابعين لهم بإحسان والأئمة من بعدهم والراسخين في العلم من تلاوة آيات الصفات وقراءة أخبارها وإمرارها كما جاءت، فلا وسَّع الله عليه**) أي: والشأن كذلك فيمن لم يؤمن بآيات الصفات كما جاءت دون تحريف أو تعطيل، و لم يمرها كما وردت بدون خوضٍ فيها وتعمق وتقعر مذموم، فلا وسع الله عليه أيضاً لأنه مخالفٌ لهدي رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بلَّغ هذه الآيات عن ربه، فلم يتكلف الصحابة السؤال عنها بغير ما بيَّنه لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا هم تكلفوا ذلك بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ولا من تابعهم بإحسان من التابعين وأئمة السلف الصالح، بل تلقوها وآمنوا بها وعملوا بمقتضاها ووسعهم أن يتركوا ما عدا ذلك من الخوض فيها.

فصل في ذكر بعض آيات الصفات

قال المصنف رحمه الله:

فمما جاء من آيات الصفات قوله تعالى إخباراً عن عيسى عليه السلام أنه قال: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}[1]، قوله تعالى: {رضي الله عنهم ورضوا عنه}[2]، وقوله تعالى:{يُحبهم ويُحبونه}[3]، وقوله تعالى في الكفار: {وغضب الله عليهم}[4]

الشرح:

قول المصنف رحمه الله: (**فمما جاء من آيات الصفات**) أي: بعض ما جاء في القرآن من الآيات الدالة على صفات الله عز وجل، فمن في قوله مما للتبعيض.

وقوله (**إخباراً عن عيسى عليه السلام**) أي: حكايةً عنه عليه السلام، و(**عيسى عليه السلام**) هو عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى أمه الصِدِّيقة مريم بنت عمران عليها السلام، كما قال الله تعالى:{يا أهل الكتاب لا تَغْلُوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروحٌ منه فآمنوا بالله ورسله ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيراً لكم إنما الله إلهٌ واحدٌ سبحانه أن يكون له ولد له ما في السماوات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً}[5]،

وقوله (**أنه قال: {تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك}**[6]) : وجه الدلالة من الآية إثبات صفة النفس لله تعالى؛ واختيار هذه الآية اختيارٌ موفقٌ من المصنف رحمه الله لأن صفة النفس جاءت في الآية مرتين؛ إحداهما منسوبة للمخلوق – وهو عيسى عليه السلام – والأخرى منسوبةٌ لذات الله سبحانه وتعالى، وهذا الاشتراك في اللفظ هو أساس احتجاج المعطلين للصفات الذين يزعمون أنهم يترهون الله تعالى عن مشابهة المخلوقين، والحق أن هذه الاشتراك في اللفظ لا يستلزم اشتراكاً في الذات أو الصفات، فنفس الله تعالى غير نفس المخلوق، تماماً كما أن حياة الله تعالى غير حياة المخلوقين، ووجوده غير وجود المخلوقين، وعلمه غير علم المخلوقين، وكل العقلاء متفقون على أن الله تعالى موجودٌ حيٌ عالمٌ، ومتفقون أن المخلوق يوصف بكونه موجوداً حياً عالماً، ورغم هذا

---

[1] المائدة - ١١٦
[2] المائدة - ١١٩
[3] المائدة - ٥٤
[4] الفتح - ٦
[5] النساء - ١٧١
[6] المائدة - ١١٦

الاشتراك اللفظي فشتان ما بين وجود الله تعالى وحياته وعلمه، ووجود المخلوق وحياته وعلمه، والعمدة في هذا كله – كما تقدم – هو إثبات صفات الله تعالى دون تمثيل، وتتريه صفات الله تعالى عن مشابهة المخلوقين دون تعطيل،

و (**قوله تعالى: {رضي الله عنهم ورضوا عنه}**[1]): في هذه الآية الكريمة إثبات صفة الرضا لله تعالى على وجه يليق بكمال الله تعالى وجلاله وتتزهه عن مشابهة المخلوقين، ولا نؤول هذه الصفة ولا نعطلها بل نؤمن بها كما جاءت ونعمل بمقتضاها الذي هو السعي في تحصيل أسباب رضا الله عنا، ومن لم يؤمن بهذه الصفة، فكيف يسعى في تحصيل مرضاة الله تعالى، ولأي شيء يعيش هذه الدنيا الفانية؟!

و(**قوله تعالى: {يُحبهم ويُحبونه}**[2]): في هذه الآية الكريمة إثبات صفة الحب لله تعالى، وهي صفة كمال تليق بجلال الله عز وجل وعظيم سلطانه، ليس فيها شيء من النقص أو الحاجة للمخلوقين، بل هي صفة كمال لله تعالى، يحب من أطاعه حباً حقيقياً هو أعلم به وبكيفيته فلا نخوض في ذلك، بل نؤمن به ونعمل بمقتضاه وهو السعي في تحصيل أسباب حب الله تعالى لنا، ومن لم يؤمن بهذه الصفة، فكيف يسعى في تحصيل محبة الله تعالى له، ولأي شيء يعيش في هذه الدنيا إن لم يكن تحصيل حب الله تعالى له غاية المنتهى؟!

و(**قوله تعالى في الكفار: {وغضب الله عليهم}**[3]): في هذه الآية إثبات صفة الغضب لله تعالى عياذاً بالله من غضبه، والله تعالى يحب عباده المؤمنين، ويغضب على عباده الكافرين، وليست لهذه الصفات معانٍ غير معانيها المعروفة في اللغة، وهذه المعاني اللغوية لا تستلزم نقصاً أو مشابهةً للمخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، بل هي صفات ثبوتية على وجه يليق بكمال الله تعالى لا ندرك كنهها ولا نخوض في تمثيلها وتكييفها وتصورها، بل نؤمن بها ونعمل بمقتضاها، فمن آمن أن الله تعالى يغضب، عمل بالأسباب التي تقيه غضب الله تعالى، ومن لم يؤمن أن الله تعالى يغضب فكيف يتقي غضب الله تعالى وهو يعيش حياته الدنيا مضيعاً لأوامر الله ومرتكباً لنواهيه؟!

فلعلك أيها المسلم بدأت تدرك خطورة إنكار صفات الله تعالى وتعطيل معانيها، وتدرك أيضاً أن هذه العقيدة ليست مجرد خلافات لفظية، بل هي أقوال وأعمال نزل بها الوحي وبلَّغها رسول الأمة صلوات ربي وسلامه عليه، وعمل بها الصحابة الكرام من بعده، وأن السعيد من تابعهم عليها بإحسان إلى يوم القيامة دون تبديل أو تحريف أو خوض بالعقول فيما لا طاقة لها به، وأن الشقي الطريد من ابتدع لنفسه طريقاً لم يأذن به الله ولم يبلغه رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يسنه لنا صحابته الكرام رضوان الله عليهم أجمعين.

---

[1] المائدة - ١١٩
[2] المائدة - ٥٤
[3] الفتح - ٦

فصل في ذكر بعض أحاديث الصفات

قال المصنف رحمه الله:

ومن السنة قول النبي صلى الله عليه وسلم:"يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا"[١]، وقوله صلى الله عليه وسلم: "يضحك الله إلى رجلين قتلَ أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة"[٢]، فهذا وما أشبهه مما صح سنده وعُدلت رواته، نؤمن به ولا نرده ولا نجحده ولا نتأوله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا بسِمَات المحدَثين، ونعلم أن الله سبحانه وتعالى لا شبيه له ولا نظير؛ {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}[٣]

الشرح:

قول المصنف رحمه الله **(ومن السنة)** أي: ومن نصوص السنة الصحيحة وهي المصدر الثاني من مصادر أصول الدين،

وقوله **(قول النبي صلى الله عليه وسلم:"يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا"[٤])**: هذا الحديث المتفق عليه يُعرف عند أهل العلم بحديث الترول، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"يترل ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر يقول:"من يدعوني فأستجب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فأغفر له"[٥]، والشاهد منه إثبات صفة الترول، وهو نزولٌ حقيقي يليق بجلال الله تعالى وكماله، لا نقص فيه ولا مشابهة للمخلوقين تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً، وتأمل ما يترتب على الإيمان بهذه الصفة الإلهية من الخير العظيم الذي يعود على العبد المؤمن، وتأمل مدى الحرمان الذي يُحرمه من جحد هذه الصفة وألحد فيها.

و**(قوله صلى الله عليه وسلم: "يضحك الله إلى رجلين قتلَ أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة"[٦])**: هذا الحديث متفقٌ عليه، وموضع الشاهد فيه إثبات صفة الضحك لله سبحانه وتعالى، صفة كمال وعلو مترهة عن مشابهة المخلوقين، وتمام الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه

---

[١] صحيح البخاري – حديث ١٠٩٤، ومسلم – حديث ٧٥٨
[٢] صحيح البخاري – حديث ٢٦٧١، ومسلم – حديث ١٨٩٠
[٣] الشورى - ١١
[٤] صحيح البخاري – حديث ١٠٩٤، ومسلم – حديث ٧٥٨
[٥] صحيح البخاري – حديث ١٠٩٤، ومسلم – حديث ٧٥٨
[٦] صحيح البخاري – حديث ٢٦٧١، ومسلم – حديث ١٨٩٠

وسلم قال:" يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر يدخلان الجنة، يقاتِل هذا في سبيل الله فيُقتل ثم يتوب الله على القاتل فيُستشهد"[1]، وعلى المؤمن أن يصدق بهذه النصوص ولا يتكلف الخوض فيها، بل يكون له أمام هذه النصوص سؤالان: هل هذا النص ثابتٌ صحيح؟ فإذا كان صحيحاً آمن به وصدق، ثم سأل السؤال الثاني: ما هو العمل المترتب على الإيمان بهذه الصفة الواردة في النص؟ فمثال الجواب عن هذا السؤال في الحديث الذي معنا هو ألا يستعجل المؤمن الحكم على المعينين بأحكام الآخرة لأنه لا يدري بماذا يختم له، ومثاله في حديث النزول العمل بمقتضى صفة النزول في الثلث الآخر من الليل هو الاجتهاد في التعرض لعطاء الله تعالى ومغفرته التي يبسطها لعباده المؤمنين.

قال الإمام البغوي رحمه الله:" فهذه ونظائرها صفاتٌ لله تعالى ورد بها السمع يجب الإيمان بها، وإمرارها على ظاهرها معرضاً فيها عن التأويل، مجتنباً عن التشبيه، معتقداً أن الباري سبحانه وتعالى لا يشبه شيء من صفاته صفات الخلق، كما لا تشبه ذاته ذوات الخلق، قال الله سبحانه وتعالى: {ليس كمثله شيء وهو السميع البصير}[2].

---

[1] صحيح البخاري – ٢٦٧١
[2] الشورى - ١١

فصل في أن الخوض فيما استأثر الله بعلمه بدعة

قال المصنف رحمه الله:

سئل الإمام مالك بن أنس رحمه الله فقيل: يا أبا عبد الله {الرحمن على العرش استوى}[1]، كيف استوى؟ فقال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأُخرج.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**الإمام مالك بن أنس**) : هو إمام دار الهجرة، صاحب الموطأ أول كتاب جمع فيه الحديث الصحيح غير المجرد. كان لا يحدِّث الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا وهو طاهر إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال رحمه الله:"ما أفتيت حتى شهد لي سبعون أني أهلٌ لذلك"، وقال الإمام الشافعي رحمه الله:"وجعلت مالكاً حجةً بيني وبين الله تعالى".

وقوله (**فقيل: يا أبا عبد الله {الرحمن على العرش استوى}[2]، كيف استوى؟**): أي سأل هذا السائلُ الإمامَ مالك عن معنى استواء الله تعالى على العرش، وكان سؤاله على سبيل التكلُّف والخوض فيما استأثر الله تعالى بعمله،

(**فقال**) أي: أجاب الإمام مالك رحمه الله : (**الاستواء غير مجهول**) أي: أن معنى صفة الاستواء معلوم في اللغة،

وقوله (**والكيف غير معقول**) أي: أن كيفية هذه الصفة غير ممكن تصورها بعقولنا القاصرة، وتأمل كيف قال إن الكيف غير معقول ولم يقل غير حاصل، فهو رحمه الله يثبت صفة الاستواء بمعناها الظاهر في اللغة وينكر إمكانية إحاطة عقولنا بكيفية هذه الصفة، وهذا الإنكار تتريه لله تعالى عن مشابهة صفاته لصفات المخلوقين، فهو استواء وعلو يليق بكمال الله تعالى وجلاله لا نقص فيه ولا مشابهة لشيء من مخلوقاته تعالى الله عن ذلك،

وقوله (**والإيمان به واجب**) أي: يجب على كل مسلم أن يؤمن بصفة الاستواء كما يجب عليه الإيمان بكل صفة من صفات الله ثبتت بالوحي، لأن إنكار صفة أو اسم من أسماء الله تعالى إلحاد، كما قال

---

[1] طه ـ ٥
[2] طه ـ ٥

تعالى: {ولله الأسماء الحسنى فادعوه بها وذروا الذين يلحدون في أسمائه سيُجزون ما كانوا يعملون}[1]، والإلحاد التكذيب والعدول عن القصد نسأل الله السلامة من ذلك.

وقوله (**والسؤال عنه بدعة**) أي: أن السؤال عن كيفية صفات الله عز وجل وكنهها سؤالٌ عما لم يُحَدِّث به رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، وهو المأمور بالتبليغ والبيان صلوات الله وسلامه عليه، وسؤال عما لم يسأل عنه صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم من هم في إيمانهم وحرصهم على العلم، فهذا السؤال خروج عن منهج الرسول صلى الله عليه وسلم في البلاغ والتعليم، وخروج عن منهح الصحابة رضوان الله عليهم في الطلب والتعلُّم.

وقوله (**ثم أَمر بالرجل فأُخرج**) أي: أن الإمام مالكاً طرد هذا المبتدع من مجلس علمه، سداً لذريعة الفتنة، ومبالغةً في التحذير من أهل البدع.

---

[1] الأعراف - ١٨٠

فصل في إثبات صفة الكلام لله تعالى

قال المصنف رحمه الله:

ومن صفات الله تعالى أنه متكلمٌ بكلامٍ قديمٍ يسمعه منه مَن شاء مِن خَلْقِه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، قال الله تعالى: {وكلَّم اللهُ موسى تكليماً}[1] ، وقال سبحانه: {فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدَّس طوى}[2]، وقال سبحانه: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني}[3]، وغير جائزٍ أن يقول هذا أحدٌ غير الله.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومن صفات الله تعالى أنه متكلمٌ**) أي: أي أن الكلام صفة من صفات الله تعالى، وهو كلامٌ حقيقي يليق بكمال الله تعالى، خلافاً للآلهة المزعومة الباطلة التي استحكم فيها النقص فاحتج الله تعالى على مَن عَبَدَها بأنها خرساء لا تنطق كعجل بني إسرائيل حيث قال الله تعالى فيهم: {واتخذ قوم موسى مِن بعده من حُلِيِّهم عِجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً اتخذوه وكانوا ظالمين}[4]. فالكلام صفة كمال، وكلام الله تعالى صفةٌ من صفاته لا يشابهها شيء من صفات المخلوقين.

وقوله (**بكلامٍ قديمٍ**) أي: أن جنس الكلام قديم، فالله تعالى كان ولم يزل متكلماً، ثم إن آحاد الكلام حادثة بحسب مشيئة الله، يتكلم متى شاء بما شاء حيث شاء، قال تعالى: {إنما قولنا لشيءٍ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون}[5].

وقوله (**يسمعه منه مَن شاء مِن خَلْقِه**) أي: أن هذا الكلام كلامٌ حقيقي له حروف وأصوات، يتكلم به الله تعالى فيسمعه من شاء الله تعالى أن يسمعه من مخلوقاته من الملائكة أو البشر،

وقوله (**سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة**): الدليل عليه قول الله تعالى: {وكلَّم اللهُ موسى تكليماً}[6]؛ وتأكيد الكلام بالمفعول المطلق يبين أن الكلام على حقيقته ويرفع احتمال المجاز.

---

[1] النساء - ١٦٤
[2] طه – ١١-١٢
[3] طه - ١٤
[4] الأعراف - ١٤٨
[5] النحل - ٤٠
[6] النساء - ١٦٤

وقوله (**وقال سبحانه: {فلما أتاها نودي يا موسى. إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدَّس طوى}**[1]): الشاهد منه نداء الله تعالى لموسى عليه السلام وتكليمه إياه بما لا يجوز أن يتكلم به مخلوق، فلا يصح لمخلوق أن يقول إني أنا ربك، فدل على أن المتكلم الله تعالى، وأن الذي سمعه موسى عليه السلام هو كلام الله تعالى،

وقوله (**وقال سبحانه: {إنني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني}**[2]): ووجه الدلالة فيه كالآية التي تقدمت، ولهذا قال المصنف رحمه الله: (**وغير جائزٍ أن يقول هذا أحدٌ غير الله**).

[1] طه - ١١-١٢
[2] طه - ١٤

فصل في القرآن الكريم وأنه كلام الله

قال المصنف رحمه الله:

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين على قلب سيد المرسلين بلسان عربي مبين، منزَّلٌ غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم**) أي: أن القرآن الكريم كلام الله تعالى وصفة من صفاته غير مخلوق.

وقوله (**وهو كتاب الله المبين**) أي: القرآن هو الكتاب الواضح الجلي الذي بيَّن الله تعالى فيه لعباده مراده منهم، وهذا كما قال تعالى: {الر تلك آيات الكتاب المبين}[1].

وقوله (**وحبله المتين**): الحبل لغةً السبب، فالقرآن الكريم هو السبب الموصل إلى مرضاة الله تعالى، وهو العهد الذي بين العباد وربهم، ولهذا أمرهم الله بالتمسك به في قوله: {واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرَّقوا}[2].

وقوله (**وصراطه المستقيم**) أي: الطريق الذي لا عوج فيه.

وقوله (**وتنزيل رب العالمين**) أي: أن القرآن كلام الله تعالى أنزله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم كما قال تعالى: {إنا نحن نزَّلنا عليك القرآن تنزيلاً}[3].

وقوله (**نزل به الروح الأمين**) أي: جبريل عليه السلام، على قلب سيد المرسلين أي: محمد بن عبد الله عليه الصلاة والسلام، خلافاً لمن زعم أنه كلام بشر، قال الله تعالى: {وإنه لتنزيل رب العالمين. نزل به الروح الأمين. على قلبك لتكون من المنذرين}[4].

وقوله (**بلسانٍ عربيٍ مبين**) أي: أن القرآن عربي، وهذا يدحض شبهة المفترين الذين زعموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ القرآن عن أهل الكتاب، كما قال الله تعالى: {ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلِّمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي وهذا لسانٌ عربيٌّ مبين}[1]،

---

[1] يوسف - ١
[2] آل عمران - ١٠٣
[3] الإنسان - ٢٣
[4] الشعراء – ١٩٢-١٩٤

وقوله (**منزّلٌ غير مخلوق**) أي: أن القرآن من كلام الله تعالى، وكلام الله صفة من صفاته، وصفات الله تعالى غير مخلوقة، فالقرآن غير مخلوق.

وقوله (**منه بدأ وإليه يعود**) أي: أن القرآن من آحاد كلام الله تعالى، لا أن جنس الكلام حادث، فكلام الله تعالى قديم الجنس حادث الآحاد، قال تعالى: {ما يأتيهم من ذِكرٍ من ربهم مُحدَثٍ إلا استمعوه وهم يلعبون}[2]، إشارة إلى نزول القرآن شيئاً فشيئاً، وقوله (**وإليه يعود**): إشارة إلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم :"يدرس الإسلام كما يدرس وشْي الثوب حتى لا يُدرى ما صيامٌ ولا صلاةٌ ولا نسكٌ ولا صدقة، ولَيُسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية"[3].

قال المصنف رحمه الله:

وهو سورٌ محكماتٌ، وآياتٌ بيِّنات، مَن قرأه فأعربه فله بكل حرفٍ عشر حسنات، له أول وآخر، متلوٌ بالألسنة، محفوظٌ في الصدور، مكتوبٌ في المصاحف.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وهو سورٌ محكماتٌ**) أي: أن القرآن الكريم مؤلف من سور: جمع سورة؛ وهي الطائفة المستقلة من الآيات القرآنية، وهي أربعة عشرة ومائة سورة، و معنى محكمات: متقنات لا نقص فيها، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: {الر كتاب أُحكمت آياته ثم فُصِّلت من لدن حكيم خبير}[4]، والمحكم بهذا المعنى وصفٌ لكل آيات القرآن الكريم.

وقوله (**وآياتٌ بيِّنات**) أي: واضحاتٌ، وهذا إشارة إلى قوله تعالى: {وكذلك أنزلناه آياتٍ بيِّناتٍ}[5]، وإنما ينتفع بهذا البيان من استهدى بالقرآن ووفقه الله تعالى للاهتداء به كما قال تعالى: { بل هو آياتٌ بيناتٌ في صدور الذين أوتوا العلم وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون}[6].

---

[1] النحل ـ ١٠٣

[2] الأنبياء ـ ٢

[3] سنن ابن ماجة – حديث ٤٠٤٩، والحاكم في المستدرك – حديث ٨٤٦٠، والحديث بتمامه عند ابن ماجة:" عن حذيفة بن اليمان قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يدرس الإسلام كما يدرس وشي الثوب حتى لا يدرى ما صيام ولا صلاة ولا نسك ولا صدقة، وليسرى على كتاب الله عز وجل في ليلة فلا يبقى في الأرض منه آية، وتبقى طوائف من الناس الشيخ الكبير والعجوز يقولون: أدركنا آباءنا على هذه الكلمة: لا إله إلا الله، فنحن نقولها، فقال له صلة: ما تغني عنهم لا إله إلا الله، وهم لا يدرون ما صلاة ولا صيام ولا نسك ولا صدقة؟ فأعرض عنه حذيفة، ثم ردها عليه ثلاثاً كل ذلك يعرض عنه حذيفة، ثم أقبل عليه في الثالثة فقال:" يا صلة تنجيهم من النار، ثلاثاً"

[4] هود ـ ١

[5] الحج ـ ١٦

[6] العنكبوت ـ ٤٩

وقوله (**مَن قرأه فأعربه فله بكل حرفٍ عشر حسنات**) أي: أن المقصود من تلاوة القرآن تدبر معانيه، وهذا لا يتم إلا بإعرابه، لأن فهم معاني القرآن إنما ينضبط بمعرفة إعراب كلماته، ومثال ذلك قوله تعالى: {إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ}[1]؛ فمن لم يعرب لفظ الجلالة بالنصب على المفعول به ولفظ العلماء بالرفع على الفاعل لم يتبين المعنى، بل إنه يقع في المحظور لو رفع لفظ الجلالة ونصب لفظ العلماء ولو تعمد هذا المعنى لكفر،

وقال أبو بكر الصديق وعمر بن الخطاب رضي الله عنهما:"لبعضُ إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه"، ولا ريب أن المقصود بالإعراب ما يتوصل به إلى الفهم لا مجرد الإعراب، وثواب كل حرفٍ بعشر حسنات جاء على مطلق القراءة في حديث الرسول صلى الله عليه وسلم قال:"من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول ألم حرف، ولكن ألف حرف ولام حرف وميم حرف"[2]، فالأجر ثابتٌ لمطلق القراءة، ولكن هذا لا يناقض كون قراءة التدبر أعظم أجراً،

قال ابن قيم الجوزية رحمه الله:"والصواب في المسألة أن يقال إن ثواب قراءة الترتيل والتدبر أجلُّ وأرفع قدراً، وثواب كثرة القراءة أكثر عدداً؛ فالأول كمن تصدق بجوهرةٍ عظيمةٍ أو أعتق عبداً قيمته نفيسة جداً، والثاني كمن تصدق بعدد كثير من الدراهم أو أعتق عدداً من العبيد قيمتهم رخيصة".

وقوله (**له أول وآخر**) أي: أن القرآن الكريم كلامٌ من كلام الله تعالى وليس هو كلُّ كلام الله تعالى، والأولية إما أن تكون أولية الوحي أي أول ما نزل من القرآن أو أولية الترتيب كما في العرضة الأخيرة التي عرضها جبريل على النبي صلى الله عليه وسلم، والآخرية كذلك إما أن تكون إشارة إلى آخر ما نزل أو إلى آخر سورة في ترتيب المصحف كما في العرضة الأخيرة، والمعنيان صحيحان، وفي هذا رد على بعض الفرق المبتدعة -كالروافض – الذين زعموا أن هناك قرآناً إضافة إلى ما في المصحف الذي أجمع الصحابة عليه، كما في مسألة مصحف فاطمة ونحوه مما يفتريه أهل الأهواء والبدع.

وقوله (**متلوٌ بالألسنة محفوظٌ في الصدور**) أي: أن هذا القرآن مأخوذٌ بالسماع ومحفوظ في صدور المؤمنين، أخذه المؤمنون سماعاً عن الصحابة الذين تلوه عليهم، وأخذه الصحابة سماعاً عن النبي صلى الله عليه وسلم الذي تلاه عليهم، وأخذه النبي صلى الله عليه وسلم عن جبريل بقلبه ولسانه كما قال تعالى: {لا تحرك به لسانك لتعجل به. إن علينا جمعه وقرآنه. فإذا قرأناه فاتَّبع قرآنه}[3]

---

[1] فاطر ـ ٢٨
[2] سنن الترمذي – حديث ٢٩١٠ وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه
[3] القيامة – ١٦-١٨

وقوله (**مكتوبٌ في المصاحف**) أي: أن القرآن الكريم قد حفظ بطريقين هما الحفظ والكتابة، وهذا أبلغ في تحقيق وعد الله تعالى بحفظ القرآن حيث قال: {إنا نحن نزَّلنا الذِكر وإنا له لحافظون}[١]، فلا بد من موافقة التلاوة للرسم، ولا يؤخذ الرسم إلا بالتلقي شفاهاً، وباجتماع رسم المصحف وتلاوة الألسن المتواترين يكون حفظ القرآن الكريم في الصدور والسطور.

قال المصنف رحمه الله:

فيه محكَمٌ ومتشابه، {لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد}[٢]، وقال الله تعالى: {قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً}[٣].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**فيه محكَمٌ ومتشابه**): المحكم والمتشابه من مباحث علوم القرآن؛ والقرآن الكريم كله محكم بمعنى الإتقان فالقرآن كله متقنٌ لا نقص فيه، وكله متشابه بمعنى الحُسن فكله يشبه بعضه بعضاً في الحُسن والبديع. كما أن القرآن الكريم بعضه محكم بالمعنى الاصطلاحي الدال على الآيات التي لا تحتاج في فهم دلالتها ومعناها إلى غيرها من الآيات أو القرائن، والقرآن الكريم بعضه متشابه بالمعنى الاصطلاحي الدال على الآيات التي استأثر الله تعالى بعلمها أو التي تحتاج في فهمها واستنباط معناها إلى ردها إلى آيات محكمة أخرى أو إلى قرائن أخرى من السنة الصحيحة أو أصول الشرع الثابتة، وإلى هذا المعنى الخاص يشير قوله تعالى: {هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آياتٌ محكَماتٌ هنَّ أمُّ الكتاب وأُخَرُ متشابهات فأما الذين في قلوبهم زيغٌ فيتَّبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله وما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم يقولون آمنا به كلٌ من عند ربنا وما يذَّكر إلا أولوا الألباب}[٤]، وقد تقدم.

وقوله (**قال تعالى: {لا يأتيه الباطلُ من بين يديه ولا من خلفه تنزيلٌ من حكيمٍ حميد}[٥]**): دليل على إحكام القرآن الكريم وإتقانه.

---

[١] الحجر - ٩
[٢] فصلت - ٤٢
[٣] الإسراء - ٨٨
[٤] آل عمران - ٧
[٥] فصلت - ٤٢

وقوله (وقال تعالى: **{قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعضٍ ظهيراً}**[1]): إشارة إلى كون القرآن الكريم معجزاً، وهو المعجزة الخالدة كما قال صلى الله عليه وسلم :"ما من الأنبياء نبي إلا أعطي ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة"[2]، فالقرآن الكريم هو المعجزة الخالدة.

---

[1] الإسراء - ٨٨

[2] صحيح البخاري – حديث ٤٦٩٦، ومسلم – حديث ١٥٢

فصل في تقديم تدبُّر القرآن على حفظ حروفه

قال المصنف رحمه الله:

وقال عليه الصلاة والسلام:"اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قومٌ يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه"[1]، وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما: إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه، ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وقال عليه الصلاة والسلام: :"اقرأوا القرآن قبل أن يأتي قومٌ يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجاوز تراقيهم، يتعجلون أجره ولا يتأجلونه"[2]**): يدل على أن المقصود من قراءة القرآن إقامة أحكامه، وتطبيق حدوده، والالتزام بأمره ونهيه، وتحكيم شريعته في حياة الناس، والتحاكم إليه في أمور الدنيا، لا مجرد تلاوته بالألسن والقلوب منه خواء، وحياة الناس منه جرداء، قال ابن قيم الجوزية في بيان هجر القرآن:"هجر القرآن أنواع:

أحدها: هجر سماعه والإيمان به والإصغاء اليه،

والثاني: هجر العمل به والوقوف عند حلاله وحرامه وإن قرأه وآمن به،

والثالث: هجر تحكيمه والتحاكم اليه في أصول الدين وفروعه، واعتقاد أنه لا يفيد اليقين وأن أدلته لفظية[3] لا تحصل العلم،

والرابع: هجر تدبره وتفهمه ومعرفة ما أراد المتكلم به منه،

والخامس: هجر الاستشفاء والتداوي به في جميع أمراض القلب وأدوائها، فيطلب شفاء دائه من غيره ويهجر التداوي به، وكل هذا داخل في قوله تعالى: {وقال الرسول يا رب إن قومي اتخذوا هذا القرآن مهجوراً}[4] وإن كان بعض الهجر أهون من بعض"، اهـــ.

وبمعنى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم أخرج مالك في موطأه أن عبد الله بن مسعود قال لإنسان:"إنك في زمانٍ كثيرٌ فقهاؤه قليلٌ قراؤه، تُحفظ فيه حدود القرآن وتضيع حروفه، قليلٌ من

---

[1] أخرجه أبو داود – حديث ٨٣١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير – حديث ٦٠٢١، وابن حبان في صحيحه – حديث ٧٦٠

[2] أخرجه أبو داود – حديث ٨٣١، وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير – حديث ٦٠٢١، وابن حبان في صحيحه – حديث ٧٦٠

[3] هكذا في المطبوع، ولعلها: ظنية

[4] الفرقان - ٣٠

يسأل كثيرٌ من يعطي، يطيلون الصلاة ويقصرون الخطبة، يُبدُّون أعمالهم قبل أهوائهم، وسيأتي على الناس زمانٌ قليلٌ فقهاؤه كثيرٌ قراؤه، يُحفظ فيه حروف القرآن وتضيَّع حدوده، كثيرٌ من يسأل قليلٌ من يعطي، يطيلون فيه الخطبة ويقصرون الصلاة، يُبَدُّون فيه أهواءهم قبل أعمالهم"، فتأمل حالنا اليوم من حيث تضييع أحكام القرآن وترك التحاكم إليه وهجره إلى الدساتير الوضعية الوضيعة، نسأل الله السلامة من ذلك.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم (**يتعجلون أجره ولا يتأجلونه**) والله أعلم أن القراء يطلبون بقراءتهم أجر الدنيا من ثناء الناس عليهم أو إعطائهم المال مقابل القراءة ولا ينتظرون الثواب الآجل في الآخرة.

وقول المصنف وقال أبو بكر وعمر رضي الله عنهما : إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه: قد تقدم معناه.

وقوله رحمه الله (**ولا خلاف بين المسلمين في أن من جحد من القرآن سورةً أو آيةً أو كلمةً أو حرفاً متفقاً عليه أنه كافر**) أي: أن الإيمان بالقرآن كله فرض من فروض الإيمان وركن من أركانه، من أنكر منه حرفاً فقد خلع عقد الإيمان من قلبه عياذاً بالله من ذلك، وقوله متفقاً عليه احتراز من القراءات الشاذة. وهذه العبارة فيها رد على أهل البدع – كالروافض – الذين يدعون كذباً وزوراً أن الصحابة رضوان الله عليهم قد كتموا شيئاً من القرآن وأسقطوه من المصحف الإمام حاشاهم رضي الله عنهم عن مثل هذا الفعل الشنيع المكفر، ولكن ما الحيلة في أقوامٍ دينهم الكذب.

فصل في الإيمان بالقدر

قال المصنف رحمه الله:

ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد، لا يكون شيءٌ إلا بإرادته، ولا يخرج شيءٌ عن مشيئته، وليس في العالم شيءٌ يخرج عن تقديره، ولا يصدر إلا عن تدبيره، ولا محيد عن القدر المقدور، ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور، أراد ما العالَم فاعلوه، ولو عصمهم لما خالفوه، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومن صفات الله تعالى أنه الفعال لما يريد**) أي: أن الله تعالى هو وحده المتفرد بالتصرف على الوجه الذي يريده، قال تعالى: {فعالٌ لما يريد}[١].

وقوله (**لا يكون شيءٌ إلا بإرادته**) أي: إرادة الخلق والتكوين ويسميها العلماء الإرادة الكونية، ويقابلها الإرادة الشرعية، والفرق بينهما أن الإرادة الكونية هي إرادة الخلق فهي قهرية لا تكون إلا كما أراد الله، أما الإرادة الشرعية فهي ما أراد الله تعالى من عباده أن يفعلوه على سبيل التكليف والابتلاء وهذه قد يقع فعل العبد فيها موافقاً للإرادة الشرعية كأن يصلي ويصوم أو يقع فعله مخالفاً للإرادة الشرعية كشرب الخمر والزنا، وضابطها أن الإرادة الشرعية هي التي يتعلق بها الرضا والسخط، كما قال تعالى: {إن تكفروا فإن الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعباده الكفر وإن تشكروا يرضه لكم}[٢].

وقوله (**ولا يخرج شيءٌ عن مشيئته**) أي: المشيئة الكونية فكل ما في الكون مخلوقٌ على الوجه الذي أراده الله تعالى بمشيئته سواءٌ أوافق الإرادة الشرعية أم لم يوافقها لحكمة يريدها الله تعالى،

وقوله (**وليس في العالم شيءٌ يخرج عن تقديره**) أي: أن كل ما في الكون مخلوقٌ بأمر الله وفق تقديره سبحانه وتعالى، ودليل ذلك قوله تعالى: {إنّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر}[٣]، قال الإمام أحمد رحمه الله: القدر قدرة الله.

---

[١] البروج - ١٦
[٢] الزمر - ٧
[٣] القمر - ٤٩

وقوله (**ولا يصدر إلا عن تدبيره**) أي: أن كل المخلوقات ناشئة عن تدبير الله وتصريفه سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: {إن ربكم الله الذي خلق السماوات والأرض في ستة أيام ثم استوى على العرش يُدبِّر الأمر ما من شفيعٍ إلا من بعد إذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكَّرون}[١]، وهذا الأمر مركوزٌ في فطرة الخلق، كما قال تعالى: {قل من يرزقكم من السماء والأرض أم من يملك السمع والأبصار ومن يُخرج الحي من الميت ويُخرج الميت من الحي ومن يدبِّر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون}[٢].

وقوله (**ولا محيد عن القدر المقدور**) أي: لا خروج ولا مجانبة لما قدره الله تعالى، فكل شيء يقع في هذا الكون فإنما يقع موافقاً لقدر الله تعالى وعلمه السابق، قال الله تعالى: {وكان أمر الله قدراً مقدوراً}[٣]، وقال سبحانه وتعالى: {ما يفتح الله للناس من رحمةٍ فلا ممسك لها وما يمسك فلا مرسل له من بعده وهو العزيز الحكيم}[٤]،

وقوله (**ولا يتجاوز ما خط في اللوح المسطور**) أي: أن كل المخلوقات تقع على الوجه الموافق لما سبق به علم الله تعالى وسطر في اللوح المحفوظ، وهذا من كمال علم الله فهو يعلم ما كان، وما هو كائن، وما سيكون، وما لم يكن لو كان كيف يكون، وليس فيه هذا ما يتوهمه الجاهلون من الجبر، لأن العبد مخاطبٌ بالتكاليف الشرعية وعليه أن يأتي بما أمره الله ويمتنع عما نهاه الله عنه، وليس للعبد علمٌ بما سبق في اللوح المحفوظ حتى يحتج به أو يوافقه عمداً، وهذا في الأمور التكليفية، وأما في الأمور الوضعية أو التكوينية فليس الإنسان مطالباً بتحصيلها ولا مسؤولاً عنها.

وقوله (أراد ما العالَم فاعلوه) أي: الإرادة الكونية التي تتعلق بالخلق والإيجاد، ويشمل ما هو موافقٌ لإرادة الله الشرعية ولما هو مخالفٌ لها لحكمة يريدها الله تعالى، وهذه العبارة فيها إثبات نسبة الفعل للمخلوق، وإثبات خلق الله تعالى لأفعال المخلوقين إذا أراد ذلك وشاءه سبحانه وتعالى،

وقوله (**ولو عصمهم لما خالفوه**) أي: أن مخالفة المخلوق لأمر الله تعالى ليس منشؤها رجحان إرادة المخلوق على إرادة الخالق سبحانه، وإنما هو الابتلاء والامتحان حيث جعل الله تعالى للمخلوق إرادةً يمتثل بها للأمر والنهي أو يخالف الأمر والنهي فيحاسب ويجازى بمقتضى ذلك، ولا يقع شيء من الموافقة أو المخالفة إلا بإذن الله تعالى، قال الله تعالى: {ولو شاء الله لجعلكم أمةً واحدة ولكن ليبلوكم فيما آتاكم}[٥].

---

[١] يونس - ٣
[٢] يونس - ٣١
[٣] الأحزاب - ٣٨
[٤] فاطر - ٢
[٥] المائدة - ٤٨

وقوله (**ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه**) أي: أن الله تعالى قادرٌ على أن يصرف قلوب عباده جميعاً على طاعته، كما خلق الملائكة على طاعة الله تعالى دون معصية حيث قال تعالى: {لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون}[١].

قال المصنف رحمه الله:

خلق الخلق وأفعالهم وقدَّر أرزاقهم وآجالهم، يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته، قال الله تعالى: {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون}[٢]، وقال تعالى: {إنّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَر}[٣]، وقال تعالى: {ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلافي كتابٍ من قبل أن نبرأها}[٤]، وقال الله تعالى: {فمن يُرد الله أن يهديَه يشرح صدره للإسلام ومن يُرد أن يُضلَّه يجعل صدره ضيِّقاً حَرَجاً}[٥].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**خلق الخلق وأفعالهم**) أي: أن الله تعالى هو خالق كل شيء بما فيه أفعال العباد، دليله قوله تعالى: {والله خلقكم وما تعملون}[٦]، وقوله (**أفعالهم**) نسب الفعل إلى الخلق، فالفعل من المخلوق وخلق الفعل من الخالق سبحانه وتعالى، وهذا ردٌ على بدعة القدرية الذين قالوا إن العبد هو الذي يقدر على فعله استقلالاً وأن أفعال العباد ليست مقدورة لله عز وجل تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

وقوله (**وقدَّر أرزاقهم**) أي: أن الله تعالى قد حدد رزق كل مخلوق وعلمه وكتبه عنده، دليله قوله تعالى: {قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين وتجعلون له أنداداً ذلك رب العالمين. وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدَّر فيها أقواتها في أربعة أيامٍ سواءً للسائلين}[٧].

---

[١] التحريم - ٦
[٢] الأنبياء - ٢٣
[٣] القمر - ٤٩
[٤] الحديد - ٢٢
[٥] الأنعام - ١٢٥
[٦] الصافات - ٩٦
[٧] فصلت – ٩-١٠

وقوله (**وآجالهم**) أي: أعمارهم في هذه الحياة الدنيا فلا تقبضُ نفسٌ حتى يحل أجلها، قال تعالى: {الله يتوفى الأنفس حين موتها والتي لم تمت في منامها فيمسك التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجلٍ مسمى إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون}[١].

وقوله (**يهدي من يشاء برحمته، ويضل من يشاء بحكمته**) أي: هداية التوفيق وإضلال الخذلان، ودليل هذه المسألة قوله تعالى: {فإن الله يُضل من يشاء ويهدي من يشاء}[٢]؛ وهذه المسألة من المسائل التي زل فيها أقوامٌ من أهل البدع والأهواء ويلبِّس فيها إبليس على ضعاف الإيمان، والعصمة من الزلل في هذه المسألة أن تتمسك بقوله تعالى:{لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون}[٣]، وهذا سر إيراد المصنف لهذه الآية بعد ذكره هداية الله تعالى وإضلاله من يشاء، ثم تعلم أن الله تعالى لا يظلم الناس شيئاً كما قال تعالى: {إن الله لا يظلم الناس شيئاً ولكن الناس أنفسهم يظلمون}[٤]، وقد أرسل الله تعالى رسله إلى عباده بالبينات والهدى، فتحققت هداية الإرشاد لهم جميعاً رحمةً منه، قال تعالى:{وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً}[٥]؛ فمن أقبل منهم على هدى الله أسبغ الله تعالى عليه بمشيئته هداية التوفيق لقبول هذا الهدى والعمل به وهذه رحمةٌ ثانية يصيب بها الله تعالى من يشاء، ومن أعرض عن هدى الله تعالى و لم يسترشد بها أضله الله تعالى وصرفه عنه عقوبةً له، تأمل قول الله تعالى: {سأصرف عن آياتي الذين يتكبرون في الأرض بغير الحق وإن يروا كل آيةٍ لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلاً وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلاً ذلك بأنهم كذَّبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين}[٦].

وقوله (**قال الله تعالى: {لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون}**[٧]): استدلال على ما تقدم، فالله تعالى هو الملك يتصرف في مملكته كيفما يشاء، وتأمل هذا الحديث العظيم عن ابن الديلمي قال:"وقع في نفسي شيءٌ من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري، فأتيت أُبَيَّ بن كعب فقلت: يا أبا المنذر! إنه قد وقع في نفسي شيء من هذا القدر فخشيت على ديني وأمري، فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني به، فقال: لو أن الله عذّب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل جبل أُحد ذهباً أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قُبِل منك حتى تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار، ولا عليك أن تأتي أخي عبد الله بن مسعود فتسأله، فأتيت عبد الله فسألته فذكر مثل ما قال أُبي، وقال لي: ولا عليك أن تأتي حذيفة، فأتيت حذيفة فسألته فقال مثل ما قالا، وقال: ائت زيد بن ثابت فاسأله، فأتيت زيد بن ثابت فسألته فقال:

---

[١] الزمر - ٤٢
[٢] فاطر - ٨
[٣] الأنبياء - ٢٣
[٤] يونس -٤٤
[٥] الإسراء - ١٥
[٦] الأعراف - ١٤٦
[٧] الأنبياء - ٢٣

سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أُحد ذهباً أو مثل جبل أُحد ذهباً تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتى تؤمن بالقدر كله، فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما اخطأك لم يكن ليصيبك، وأنك إن مت على غير هذا دخلت النار"[1]، فلعمري هذا هو الإيمان.

وقوله (**وقال تعالى:{إنّا كلَّ شيءٍ خلقناه بقَدَر}**[2]) أي: التقدير والقدرة؛ فمن التقدير قوله تعالى:{وخلق كل شيءٍ فقدَّره تقديراً}[3]، ومن القدرة قوله تعالى:{والله خلق كل دابةٍ من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شيء قدير}[4].

وقوله (**وقال تعالى:{ما أصاب من مصيبةٍ في الأرض ولا في أنفسكم إلافي كتابٍ من قبل أن نبرأها}**[5]): أشار المصنف بإيراده هذه الآية إلى نوع القدر الذي يُحتَجُّ به ألا وهو الاحتجاج بالقدر على المصائب وعلى ما لا يدخل تحت التكليف الشرعي؛ ومَن فهم هذا فهم احتجاج آدم على موسى عليهما السلام بالقدر في الحديث الصحيح عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" احتج آدم وموسى فقال موسى: أنت آدم الذي أخرجت ذريتك من الجنة! قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالاته وكلامه، ثم تلومني على أمرٍ قد قُدر علي قبل أن أُخلق، فحجَّ آدمُ موسى"[6]، فاحتجاج آدم عليه السلام بالقدر هو على مصيبة الإخراج من الجنة لا على الذنب، فتنبه.

وقوله (**وقال الله تعالى:{فمن يُرد الله أن يهديَه يشرح صدره للإسلام ومن يُرد أن يُضلَّه يجعل صدره ضيِّقاً حَرَجاً}**[7]): أشار المصنف رحمه الله بإيراده هذه الآية إلى نوع القدر الذي لا يصح الاحتجاج به وهو ما يقع مخالفاً للتكليف الشرعي، ومثال هذا احتجاج المشركين الباطل بالقدر حيث دحض الله تعالى حجتهم فقال: {سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ما أشركنا ولا آباؤنا ولا حرَّمنا من شيء كذلك كذَّب الذين من قبلهم حتى ذاقوا بأسنا قل هل عندكم من علمٍ فتخرجوه لنا إن تتبعون إلا الظن وإن أنتم إلا تخرصون}[8]، فأنكر الله تعالى عليهم هذا الاحتجاج.

---

[1] سنن ابن ماجة – حديث ٧٧، واخرجه أبو داود – حديث ٤٦٩٩، والبيهقي - ٢٠٦٦٣
[2] القمر - ٤٩
[3] الفرقان - ٢
[4] النور - ٤٥
[5] الحديد - ٢٢
[6] صحيح البخاري – حديث ٧٠٧٧، وصحيح مسلم – حديث ٢٦٥٢
[7] الأنعام - ١٢٥
[8] الأنعام - ١٤٨

فصل في تعريف الإيمان وأركانه

قال المصنف رحمه الله:

روى ابن عمر أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم :"ما الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره. فقال جبريل: صدقت"[١]، ولا نجعل قضاء الله وقدره حجةً لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه، بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل، قال الله تعالى: {لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل}[٢]، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى: {لا يكلِّف الله نفساً إلا وُسعها}[٣]، وقال تعالى: تعالى: {اليوم تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت لا ظلم اليوم}[٤]، فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يُجزى يُجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقعٌ بقضاء الله وقدره.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**روى ابن عمر**): روى بصيغة الجزم، وابن عمر هو الصحابي الجليل عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه وعن أبيه.

وقوله (**أن جبريل عليه السلام قال للنبي صلى الله عليه وسلم**) : هذا جزءٌ من حديث جبريل الطويل عند مسلم حيث جاء في صورة رجل إلى الرسول صلى الله عليه وسلم بحضرة الصحابة، فسأله عن الإسلام والإيمان والإحسان، وكان سؤاله بغرض تعليم الصحابة كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن السائل جبريل عليه السلام أتاكم يعلمكم أمر دينكم.

وقوله (**ما الإيمان؟**) أي: أخبرني عن الإيمان أي شيء هو؟ وما حقيقته؟

وقوله (**قال**) أي: أجاب النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره**) أي: هذه هي أركان الإيمان الستة، والشاهد من الحديث ذكر الإيمان بالقدر خيره وشره، ونسبة الشر إلى القدر هي بالنسبة إلى المخلوقين، ولا يُنسب الشر المحض إلى الله تعالى، وبيان ذلك أن

---

[١] صحيح مسلم - ٨
[٢] النساء - ١٦٥
[٣] البقرة - ٢٨٦
[٤] غافر - ١٧

الشر المحض عدم، والعدم لا يُنسب لفاعل، وأما الشر الواقع بخلق الله فهو شرٌ نسبي خلقه الله وفي مقابله من الخير والمصلحة ما لا رجحان للشر معه، فلا يُنسب هذا الشر إلى الله تعالى أدباً مع الله سبحانه وتعالى، فتنبه.

وقوله (**فقال جبريل: صدقت**) أي: أن جبريل عليه السلام قد وافق النبي صلى الله عليه وسلم في بيان أركان الإيمان لأن غرضه من السؤال تعليم من كان حاضراً من الصحابة رضوان الله عليهم.

وقول المصنف رحمه الله (**ولا نجعل قضاء الله وقدره حجةً لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه**): قد تقدم معناه، ومن طريف ما يذكر أن رجلاً سرق فقال لعمر بن الخطاب: سرقت بقضاء الله وقدره. فقال له: وأنا أقطع يدك بقضاء الله وقدره!

فالقدر يُحتج به على المصائب والابتلاءات ولا يُحتج به على المعاصي، إذا المكلف مخاطب بالأمر والنهي وليس مخاطباً بالقدر، فتأمل.

وقوله (**بل يجب أن نؤمن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب وبعثة الرسل**) أي: أن الله تعالى قد أعذر إلى عباده تفضلاً وتكرماً منه بإرسال الرسل و لم يؤاخذ العباد بميثاق الفطرة بل أرسل إليهم الرسل وأنزل إليهم الكتب تذكرهم عهد الله وميثاقه، قال تعالى: {وما كنا معذِّبين حتى نبعث رسولاً}[1].

وقوله (**قال الله تعالى:{لئلا يكون للناس على الله حجةٌ بعد الرسل}**[2]) أي: حتى لا يتذرع الكفار العصاة حين يرون العذاب في الآخرة بأنه لم يُرسل إليهم رسول يبشرهم وينذرهم و لم يترل عليهم كتاب يهديهم كما قال تعالى: {ولو أنا أهلكناهم بعذابٍ من قبله لقالوا ربنا لولا أرسلت إلينا رسولاً فنتبع آياتك من قبل أن نَذِل ونَخزى}[3].

وقوله (**ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك**) أي: أن التكليف شرطه الاستطاعة كما قال تعالى: {لا يكلف الله نفساً إلا وُسعها}[4]، وفيه إثبات إرادةٍ وقدرةٍ للعبد بإذن الله تعالى.

وقوله (**وأنه لم يجبر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة**) أي: أن خلق الله تعالى لأفعال العباد التي اكتسبوها واقترفوها بفعلهم ليس إجباراً لهم على هذه الأفعال، وهذا ردٌ على الجبرية الذين نفوا قدرة العبد وجعلوه كالريشة في مهب الريح لا كسب له ولا فعل، ومذهب أهل الحق أهل السنة أن الله تعالى أمر ونهى وأقدر عباده على الاستجابة للأمر والنهي، وأن العبد يفعل فعله والله تعالى يخلق

---

[1] الإسراء - ١٥
[2] النساء - ١٦٥
[3] طه - ١٣٤
[4] البقرة - ٢٨٦

فعله، فللعبد إرادة وقدرة مفتقرة إلى إرادة وقدرة الله، ولله تعالى إرادة وقدرة غير مفتقرة إلى غير الله تعالى.

وقوله (**قال الله تعالى: {لا يكلِّف الله نفساً إلا وُسعها}**[1]): في هذه الآية مسائل منها؛

- إثبات التكليف وهو مشتق من الكلفة فكل التكاليف فيها نوع كلفة ومشقة لكنها غير خارجة عن المعتاد ولا تعارض وقوع التكليف،
- إثبات الوسع أي الاستطاعة للعبد،
- أن الاستطاعة شرط التكليف،
- سعة رحمة الله بعباده فلو شاء لكلفهم ما لا يطيقون.

وقوله (**وقال تعالى: {اليوم تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبت لا ظلم اليوم}**[2]) أي: أن الله تعالى برحمته لا ينقص أحداً شيئاً من جزاء كسبه، مع أن رحمة الله خيرٌ له من كسبه، و(**الظلم**): النقص، و(**اليوم**) في الآية يوم القيامة.

وقوله (**فدل على أن للعبد فعلاً وكسباً يُجزى على حَسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب**) أي: أن قوله تعالى في الآية السابقة فيه إثبات الفعل والكسب للعبد وأن خلق الله تعالى لأفعال العباد لا ينفي كسبهم لها ومحاسبتهم بمقتضاها.

وقوله (**وهو واقعٌ بقضاء الله وقدره**) أي: أنه لا يقع في الكون شيء إلا بعلم الله تعالى السابق وبقدرته المطلقة.

فأركان الإيمان بالقدر هي:

- أن تؤمن أن الله تعالى خالق كل شيء،
- وأن الله تعالى عالمٌ بكل ما يكون،
- وأن علم الله تعالى بما يكون مسطورٌ في اللوح المحفوظ،
- وأن كل ما يقع في الكون فإنه يقع موافقاً لعلم الله السابق والمكتوب في اللوح المحفوظ.

قال المصنف رحمه الله:

والإيمان قولٌ باللسان وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان، يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان، قال الله تعالى: {وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيِّمة}[1]، فجعل عبادة الله تعالى وإخلاص القلب وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة كله من الدين.

---

[1] البقرة - ٢٨٦
[2] غافر - ١٧

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**والإيمان قولٌ باللسان، وعملٌ بالأركان، وعقدٌ بالجنان**): الإيمان تصديق الخبر والانقياد للشرع، فمجرد التصديق لا يحقق الإيمان فإن أحبار اليهود الذين صدقوا الرسول صلى الله عليه وسلم و لم ينقادوا له ليسوا بمؤمنين، أما من صدق به وأطاعه فمؤمن، كما صح في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: كان غلامٌ يهودي يخدم النبي صلى الله عليه وسلم فمرض، فأتاه النبي صلى الله عليه وسلم فقعد عند رأسه فقال له: أسلِم، فنظر إلى أبيه وهو عنده فقال له: أطع أبا القاسم، فأسلَمَ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول:"الحمد لله الذي أنقذه من النار"[٢]، فلم يحكم بإسلامه حتى أطاعه،

وقوله (**قولٌ باللسان**) :هو النطق بالشهادتين للقادر وما يقوم مقامه لغير القادر كالإشارة للأخرس،

وقوله (**وعملٌ بالأركان**): هو ما خاطب الله تعالى به عباده من التكاليف الشرعية كالصلاة والصيام والحج،

وقوله (**وعقدٌ بالجنان**): أي بالقلب وهو ما يستقر في القلب من أركان الإيمان الباطنة، وعلى هذا فالإيمان قول وعمل بالقلب واللسان والجوارح، وهو على ثلاث مراتب:

- مرتبة الإيمان المجمل: وهو ما ينعقد به أصل الإيمان كما في حديث جبريل عليه السلام،
- مرتبة الإيمان الواجب: وهو ما يأتي به العبد من التكاليف الشرعية الواجبة كأركان الإسلام الظاهرة،
- مرتبة الإيمان الكامل: وهو ما يأتي به المكلف من النوافل والعبادات المندوبة،

وهذا كله ردٌ على المرجئة الذي أرجأوا – أي أخَّروا – العمل عن الإيمان وقالوا إن الإيمان هو مجرد المعرفة والتصديق أي معرفة الله والإقرار بوجود الله والتصديق بذلك فحسب، وعلى هذا التعريف القاصر يكون إبليس مؤمناً لأنه عرف الله وأقر بوجوده وصدق بربوبيته ولكنه لم ينقد لأمره و لم يعمل به، فتأمل فساد هذا القول وبطلانه.

وقوله (**يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان**) أي: أن الإيمان يزيد وينقص، ولما كانت شهادة التوحيد شيئاً واحداً لا يزيد ولا ينقض دل على أن العمل من الإيمان لأن العمل بالطاعة أو المعصية هو الذي يزيد وينقص.

---

[١] البينة - ٥
[٢] صحيح البخاري - حديث ١٢٩٠

وقوله (**قال الله تعالى:{وما أُمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيِّمة}**[1]): استدلالٌ بالآية على أن الإخلاص – وهو عمل القلب – والعبادة كالصلاة والزكاة وهي عمل الجوارح كلها من الدين.

قال المصنف رحمه الله:

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"[2]، فجعل القول والعمل من الإيمان، وقال تعالى: {فزداهم إيماناً}[3]، وقال تعالى: {ليزدادوا إيماناً}[4]، وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يخرج من النار قال لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان"[5] فجعله متفاضلاً.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم**): هذا استدلال بالسنة على مسألة دخول العمل في مسمى الإيمان وزيادة الإيمان بزيادة العمل.

وقوله صلى الله عليه وسلم (**"الإيمان بضعٌ وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق"**[6]) أي: أن الإيمان يزيد بزيادة أعمال المؤمن،

و(**إماطة الأذى**): إزالته.

وقول المصنف (**فجعل القول والعمل من الإيمان**) أي: من مسمى الإيمان وحقيقته الشريعة.

وقوله (**وقال تعالى: {فزداهم إيماناً}**[7]**، وقال تعالى: {ليزدادوا إيماناً}**[8]): دليلٌ على أن العمل من الإيمان كما تقدم، لأن العمل هو الذي يزيد فيزيد به الإيمان، أما الشهادتان فلا تزيدان.

وقول المصنف (**فجعله متفاضلاً**) أي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين ذكر من كان في قلبه مثقال برة أو خردلة أو ذرة من الإيمان دل على أن الإيمان ليس على مرتبة واحدة بل يتفاضل بتفاضل

---

[1] البينة - ٥
[2] متفق عليه، صحيح البخاري – حديث ٩، ومسلم – حديث ٣٥ واللفظ له
[3] آل عمران - ١٧٣
[4] الفتح - ٤
[5] صحيح البخاري – حديث ٤٤ بألفاظ مختلفة، ومسلم – حديث ١٩٣ بألفاظ مختلفة كذلك
[6] متفق عليه، صحيح البخاري – حديث ٩، ومسلم – حديث ٣٥ واللفظ له
[7] آل عمران - ١٧٣
[8] الفتح - ٤

أعمال المؤمنين، فليس إيماني كإيمان أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وليس إيمان أتباع الرسل كإيمان الرسل، فتأمل.

فصل في تقديم النقل على العقل

قال المصنف رحمه الله:

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم وصحَّ به النقل عنه فيما شاهدناه، أو غاب عنا، نعلم أنه حقٌ وصدق، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه، مثل حديث الإسراء والمعراج وكان يقظةً لا مناماً، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم**) أي: أن سنة الرسول صلى الله عليه وسلم حجة في مسائل الاعتقاد والغيبيات كما هي حجة في مسائل العبادات والمعاملات، فالسنة شقيقة القرآن ومثيلته في الحجية والاعتبار.

وقوله (**وصحَّ به النقل عنه**) أي: أن الحجة إنما هي في السنة الصحيحة وهذا احتراز من الحديث الضعيف المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وأشد درجات الضعيف الحديث الموضوع المكذوب على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو مردودٌ قطعاً،

وأما الحديث الضعيف فلا يُحتجُّ به في العقائد، وللعلماء شروط في العمل بالحديث الضعيف في فضائل الأعمال وهي: ألا يكون الضعف شديداً أو راجعاً إلى كذب الراوي، وأن يكون الحديث مندرجاً تحت أصلٍ شرعي صحيح، وألا يعتقد حين العمل به ثبوته عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وقوله (**فيما شاهدناه، أو غاب عنا**) أي: أن الإيمان بما صح به النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفتقر إلى موافقة الحس له، فما شاهدناه بحواسنا مما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم أو غاب عنا كل ذلك نؤمن به ما دام النقل صحيحاً، نعم هناك زيادة اطمئنان لموافقة الحس السمع ولكن الأصل في الإيمان تصديق خبر الرسول صلى الله عليه وسلم من دون توقف.

وقوله (**نعلم أنه حقٌ وصدق**) أي: بمجرد ثبوت النقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله (**وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه**) أي: أن تصديق الخبر الصحيح لا يتوقف على فهم عقولنا القاصرة له، فما عقلناه مما أخبر به الرسول صلى الله عليه وسلم قد يحصل به مزيد اطمئنان في القلب، وما جهلناه لم ينقص من تصديقنا للسنة الصحيحة.

وقوله (**ولم نطلع على حقيقة معناه**) أي: كل ما تعلق بالغيبيات التي لا تتصور عقولنا كنهها، كحياة البرزخ وسؤال القبر ومشاهد القيامة مما لا تطيق عقولنا تصورها فإننا نؤمن بها كما ورد الخبر الصحيح عنه صلى الله عليه وسلم، ونترك الخوض فيها بغير علم، ولا نتوقف في إيماننا بها على تصور كنهها لعجز عقولنا عن إدراك ذلك.

وقوله (**مثل حديث الإسراء والمعراج**) أي: أن هذا خبر سمعي لم تشهده حواسنا ولا تطيق عقولنا تصور كيفيته، ولكنه خبر ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فنؤمن به ونصدقه.

وقوله (**وكان يقظةً لا مناماً**) أي: أنه صلى الله عليه وسلم أُسري به بروحه وبدنه حقيقةً، لا أنه منام ورؤيا.

وقوله (**فإن قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تنكر المنامات**) أي: أن الذي أخبر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عن مسراه إلى المسجد الأقصى ومعراجه إلى السماء كان على الحقيقة بروحه وبدنه ولهذا أنكرته قريش، ولو كان الذي أخبر به صلى الله عليه وسلم مناماً ورؤيا لما أنكرته.

فصل في بعض الغيبيات الثابتة بالنقل الصحيح

قال المصنف رحمه الله:

ومن ذلك أشراط الساعة، مثل خروج الدجال، ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله، وخروج يأجوج ومأجوج، وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل .

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومن ذلك**) أي: من أمور الغيب التي ثبتت بها السنة الصحيحة ويجب الإيمان بها.

وقوله (**أشراط الساعة**) أي: علاماتها، كما قال تعالى: {فهل ينظرون إلا الساعة أن تأتيهم بغتةً فقد جاء أشراطها}[1]، وقسمها العلماء إلى علامات صغرى وعلامات كبرى ذكر المصنف خمساً منها.

وقوله (**مثل خروج الدجال**) أي: من أشراط الساعة خروج الدجال، وهو رجل معيَّن يبتلي الله به عباده، ودليله السنة والإجماع، ولقد علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم الاستعاذة من فتنته، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدعو:"اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال"[2]،

ولقد أنذرنا النبي صلى الله عليه وسلم الدجال فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال:"قام رسول الله صلى الله عليه وسلم في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال:"إني لأنذركموه، وما من نبي إلا وقد أنذره قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبيٌّ لقومه: إنه أعور، وإن الله ليس بأعور"[3]، وسر ذكر هذه العلامة أن الدجال يدعي الربوبية ويدعو الناس إلى عبادته، فإذا تبين أنه أعور تبين أن ادعاءه الربوبية كذب لأن الرب لا يشينه مثل هذا النقص حاشاه،

قال الإمام النووي رحمه الله:"قال القاضي: هذه الأحاديث التى ذكرها مسلم وغيره فى قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق فى صحة وجوده، وأنه شخصٌ بعينه ابتلى الله به عباده، وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى من إحياء الميت الذى يقتله، ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه، وجنته

[1] محمد - ١٨
[2] صحيح البخاري – حديث ١٣١١، وصحيح مسلم - حديث ٥٨٨
[3] صحيح البخاري – حديث ٦٧٠٨

وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له، وأمره السماء أن تمطر فتمطر، والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك، فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره، ويبطل أمره، ويقتله عيسى صلى الله عليه وسلم، ويثبِّت الله الذين آمنوا، هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار خلافاً لمن أنكره وأبطل أمره".

وقوله (**ونزول عيسى بن مريم عليه السلام فيقتله**) أي: أن من علامات الساعة نزول عيسى عليه السلام كما قال تعالى: {وإنه لَعِلمٌ للساعة}[١]، وذلك أن عيسى بن مريم حيٌّ لم يمت بعد، وإنما رفعه الله تعالى إليه ونجاه من الصلب، ثم يترل في آخر الزمان فيحكم بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم ويضع الجزية فلا يقبل من أهل الكتاب غير الإسلام فيؤمن به أهل الكتاب كما قال تعالى: {وإن من أهل الكتاب إلا لَيؤمِنَنَّ به قبل موته}[٢] — وهذا كله من الشريعة المحمدية، حيث قال صلى الله عليه وسلم:"كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأَمَّكم منكم"[٣]، أي أَمَّكم بكتاب ربكم وسنة نبيكم صلى الله عليه وسلم،

وقوله (**فيقتله**) أي: أن من شأن عيسى بن مريم عليه السلام أنه يطلب الدجال فيقتله فتنتهي فتنته بذلك.

وقوله (**وخروج يأجوج ومأجوج**) أي: ومن علامات الساعة خروج يأجوج ومأجوج، وهم قومٌ ذكرهم القرآن في قصة ذي القرنين حيث قال تعالى:{قالوا يا ذا القرنين إن يأجوج ومأجوج مفسدون في الأرض فهل نجعل لك خَرَجاً على أن تجعل بيننا وبينهم سداً}[٤]، وذكر أهم يخرجون في آخر الزمان كما أخبر الله تعالى:{حتى إذا فُتحت يأجوج ومأجوج وهم من كل حَدَب ينسلون.واقترب الوعدُ الحق فإذا هي شاخصةٌ أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنا في غفلةٍ من هذا بل كنا ظالمين}[٥]،

وعن أم المؤمنين زينب بنت جحش رضي الله عنها أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل عليها فزعاً يقول:" لا إله إلا الله، ويلٌ للعرب من شرٍ قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذا، وحلَّق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله! أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: نعم، إذا كثر الخَبَث"[٦].

وقوله (**وخروج الدابة**) أي: الدابة التي تخرج في آخر الزمان تكلم الناس كما أخبر الله تعالى: {وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابةً من الأرض تكلمهم أن الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون}[٧].

---

[١] الزخرف - ٦١
[٢] النساء - ١٥٩
[٣] صحيح مسلم - ١٥٥
[٤] الكهف - ٩٤
[٥] الأنبياء – ٩٦-٩٧
[٦] صحيح البخاري – حديث ٣١٦٨، وصحيح مسلم – حديث ٢٨٨٠
[٧] النمل - ٨٢

وقوله (**وطلوع الشمس من مغربها**) أي: إن طلوع الشمس من مغربها شرط من أشراط الساعة الكبرى، وهي العلامة التي لا ينفع عندها إيمان من لم يؤمن من قبل، قال تعالى:{يوم يأتي بعض آيات ربك لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً}[١]،

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس آمنوا أجمعون، فذلك حين {لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيراً}[٢]، ولَتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يليط حوضه فلا يسقي منه، ولتقومن الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها"[٣].

وقوله (**وأشباه ذلك مما صح به النقل**) أي: يجب الإيمان بكل الغيبيات أو السمعيات التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم سواء أخبر عنها عن طريق القرآن الكريم أم عن طريق السنة الصحيحة، فكل ذلك يجب الإيمان به وقبوله على حقيقته الظاهرة، خلافاً للملاحدة الذين ينكرون الغيبيات، وخلافاً لمن يتسمى بالعقلانيين أو العصرانيين الذين يزعمون أن العقل وحده طريق المعرفة فينكرون الغيبيات التي ثبتت بطريق الوحي، والحقيقة أن العقل بريء من هؤلاء، لأن العقل السليم يدرك قصوره عن إدراك جميع الموجودات، والعقيدة الإسلامية جاءت خطاباً للعقل السليم، وهي تأتي بمحارات العقول ولا تأتي بمحالات العقول كما تقدم، فلا تعارض بين النقل الصحيح والعقل الصريح، وإن حقيقة دعوة العقلانيين والعصرانيين إذاً هي الدعوة إلى الإلحاد وإنكار الغيبيات، إنها دعوة إلى الكفر. أما عقيدة الإسلام فهي دعوة إلى الله تعالى قائمة على تلقي العقل لخبر الوحي الصحيح فيما يتعلق بالعقيدة والغيبيات والعمل بمقتضى ذلك دون حجرٍ على إعمال العقل في مسائل الكون الذي سخره الله تعالى لنا، ليحدث التكامل بين العلم الحسي والعلم الغيبي وفق المنهج القرآني الفريد حيث قال تعالى: {وتمت كلمة ربك صدقاً وعدلاً لا مبدِّل لكلماته وهو السميع العليم}[٤]؛ الصدق في الخبر والعدل في الحكم. ولذلك لا نجد في التاريخ الإسلامي أي صدام بين العقيدة والعلم، خلافاً لتاريخ الكنيسة القائمة على مصادرة عقول الناس بدءاً بمعتقداتها الفاسدة من نسبة الولد لله تعالى، وانتهاءً بالحجر على الاستكشاف الكوني ورمي كل تجربة علمية بالهرطقة ونصب محاكم التفتيش في زوايا المجتمع لقمع من تحدثه نفسه بالخروج على معتقدات الكنيسة.

---

[١] الأنعام - ١٥٨
[٢] الأنعام - ١٥٨
[٣] صحيح البخاري – حديث ٦١٤١
[٤] الأنعام - ١١٥

قال المصنف رحمه الله:

وعذاب القبر ونعيمه حق، وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه، وأمر به في كل صلاة، وفتنة القبر حق، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد الموت حق، وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور: {ونُفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون}[1].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله **(وعذاب القبر ونعيمه حق)** أي:إن هذا من الأمور الغيبية التي ثبتت بالسمع، وهي مما لا مدخل للعقل فيه، فيجب الإيمان بما صح به النقل، وترك الخوض في كيفيته وكنهه إذ هو غير مقدور لنا، ويجب الإيمان بأن العذاب والنعيم في القبر على ظاهر النصوص يتناول الأرواح والأبدان،

فعن عائشة رضي الله عنها أن يهوديةً دخلت عليها فذكرت عذاب القبر فقالت: أعاذك الله من عذاب القبر، فسألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم عن عذاب القبر فقال:"نعم، عذاب القبر حق، قالت عائشة: فما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد صلى صلاةً إلا تعوَّذ من عذاب القبر"[2]،

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أنه حدثهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن العبد إذا وُضع في قبره وتولى عنه أصحابه وإنه ليسمع قرع نعالهم، أتاه ملكان فيقعدانه فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل لمحمدٍ صلى الله عليه وسلم؟ فأما المؤمن فيقول: أشهد أنه عبد الله ورسوله، فيقال له: انظر إلى مقعدك من النار قد أبدلك الله به مقعداً من الجنة، فيراهما جميعاً، قال قتادة: وذكر لنا أنه يُفسح في قبره، ثم رجع إلى حديث أنس قال: وأما المنافق والكافر فيقال له: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري، كنت أقول ما يقول الناس، فيقال: لا دريت ولا تليت، ويُضرب بمطارق من حديد ضربةً فيصيح صيحةً يسمعها من يليه غير الثقلين"[3]، وفي رواية مسلم: قال قتادة:"وذُكر لنا أنه يُفسح له في قبره سبعون ذراعاً ويملأ عليه خضراً إلى يوم يبعثون"[4].

وقوله **(وقد استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم منه)** أي: من عذاب القبر كما تقدم.

---

[1] يس - ٥١
[2] صحيح البخاري – حديث ١٣٠٦
[3] صحيح البخاري – حديث ١٣٠٨
[4] صحيح مسلم – حديث ٢٨٧٠

وقوله (**وأمر به في كل صلاة**) أي: وأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالاستعاذة من عذاب القبر في كل صلاة، ومحل هذه الاستعاذة قبل التسليم، والأمر أمر إرشادٍ إذ أن ترك هذه الاستعاذة لا يبطل الصلاة.

وقوله (**في كل صلاة**) عامٌ في الفريضة والنافلة.

وقوله (**وفتنة القبر حق**) أي: امتحان القبر وسؤاله، وأصله فتنت الذهب أي أحرقته بالنار لاستخراج معدنه الصافي والتخلص من الشوائب المخالطة له، وقد تقدم حديث أنس في سؤال الملكين عن قول الميت في رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله (**وسؤال منكر ونكير حق**) أي: هذان الملكان هما الموكولان بسؤال العبد في القبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"إذا قُبر الميت – أو قال أحدكم – أتاه مَلَكَان أسودان أزرقان، يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير، فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول ما كان يقول: هو عبد الله ورسوله أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا، ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعاً في سبعين، ثم ينوَّر له فيه، ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم، فيقولان: نم كنومة العروس لا يوقظه إلا أحب أهله حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك، وإن كان منافقاً قال: سمعت الناس يقولون فقلت مثله، لا أدري، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول ذلك، فيقال للأرض التئمي عليه فتلتئم فتختلف فيها أضلاعه فلا يزال فيها معذباً حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك"[1].

وقوله (**والبعث بعد الموت حق**) أي: ونؤمن بالبعث بعد الموت خلافاً لمن أنكره حيث قال تعالى:{قالوا يا ويلنا مَن بعثنا مِن مرقدنا هذا ما وعد الرحمن وصدَق المرسلون}[2].

وقوله (**وذلك حين ينفخ إسرافيل عليه السلام في الصور**) أي: أن البعث من القبور يحصل عندما ينفخ الملك إسرافيل في الصور وهي النفخة الثانية، ويسبقها النفخة الأولى وهي نفخة الصعق كما قال تعالى: {ونفِخ في الصور فصعِق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله ثم نفِخ فيه أُخرى فإذا هم قيام ينظرون}[3].

وقوله تعالى: (**{ونُفخ في الصور فإذا هم من الأجداث إلى ربهم ينسلون}**[4]): هي النفخة الثانية، و(**الأجداث**): القبور، و(**ينسلون**) أي: يخرجون مسرعين.

---

[1] سنن الترمذي – حديث ١٠٧١، قال أبو عيسى: حديث أبي هريرة حسن غريب
[2] يس - ٥٢
[3] الزمر - ٦٨
[4] يس - ٥١

قال المصنف رحمه الله:

ويُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً، غرلاً بُهماً، فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ويحاسبهم الله تبارك وتعالى، وتنصب الموازين، وتُنشر الدواوين، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل: {فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يُحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعوا ثبوراً. ويصلى سعيراً}[1].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ويُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً بُهماً**) أي: يُجمعون يوم القيامة، (**حفاةً**) جمع حافي: وهو الذي لا شيء في رجله من خف أو نعل،
و(**عُراةً**) جمع عاري وهو من لا كساء له،
و(**غُرلاً**) جمع أغرل وهو الأقلف غير المختون،
و(**بُهماً**) أي ليس معهم شيء، قال الله تعالى: {كما بدأنا أول خلقٍ نعيده وعداً علينا إنا كنا فاعلين}[2]،
وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول:"يُحشر الناس يوم القيامة حفاةً عراةً غرلاً. قلت: يا رسول الله! النساء والرجال جميعاً ينظر بعضهم إلى بعض؟ قال صلى الله عليه وسلم: يا عائشة الأمر أشد من أن ينظر بعضهم إلى بعض"[3].
وقوله (**فيقفون في موقف القيامة حتى يشفع فيهم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم**): هذه هي الشفاعة الكبرى التي يشفعها رسول الله صلى الله عليه وسلم بإذن الله للفصل بين الخلائق، وهذه الشفاعة خاصة بالنبي صلى الله عليه وسلم، وهناك شفاعاتٌ عامة لا تختص بالنبي عليه الصلاة والسلام كما سيأتي.
وقوله (**ويحاسبهم الله تبارك وتعالى**) أي: أن الله تعالى يحاسب عباده على أعمالهم، وهذا الحساب نوعان: الأول هو الحساب اليسير وهو العرض حيث يعرض الله تعالى ذنوب عبده المسلم عرضاً يسيراً فيستره، كما صح الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال:"من حوسب عُذِّب، قالت عائشة:

---

[1] الانشقاق – ٧-١٢
[2] الأنبياء - ١٠٤
[3] صحيح البخاري – حديث ٢٨٥٩

فقلت: أوليس يقول الله تعالى: {فسوف يحاسَب حساباً يسيراً}[1]، قالت: فقال: إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب عُذب"[2].

وقوله (**وتُنصب الموازين**) أي: أي توضع لوزن الأعمال أو لوزن العباد أو كليهما، وهو ميزان حقيقي كما أخبر الله تعالى، وحسبك في هذا الباب قوله تعالى: {ونضع الموازين القسط ليوم القيامة فلا تُظلم نفسٌ شيئاً وإن كان مثقال حبةٍ من خردلٍ أتينا بها وكفى بنا حاسبين}[3]، ودلت النصوص على وزن الأعمال، وصحائف الأعمال ونفس العامل، ولا تعارض في ذلك ولله الحمد.

وقوله (**وتُنشر الدواوين**) أي: تُبسط، والنشر خلاف الطي، والكتاب المنشور: غير المختوم، و(**الدواوين**): جمع ديوان وهو مجتمع الصحف، وفي الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"يُصاح برجلٍ من أمتي على رؤوس الخلائق يوم القيامة فيُنشر له تسعٌ وتسعون سجلاً كل سجل مد البصر ثم يقال له: أتنكر من هذا شيئاً؟ فيقول: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيهاب الرجل فيقول: لا يا رب، فيقول: بلى إن لك عندنا حسنات، وإنه لا ظلم عليك، فيخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، فيقول: يا رب! ما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟ فيقول: إنك لا تظلم. قال: فيوضع السجلات في كفة والبطاقة في كفة فطاشت السجلات وثقلت البطاقة"[4]، وفي رواية الترمذي:"فلا يثقل مع اسم الله شيء"[5].

وقوله (**وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل**) أي: تُنشر صحف الأعمال للحساب، فتقع كل صحيفة في يد صاحبها، قال تعالى: {وإذا الصحف نُشرت}[6].

وقوله تعالى: (**{فأما من أوتي كتابه بيمينه. فسوف يُحاسب حساباً يسيراً. وينقلب إلى أهله مسروراً. وأما من أوتي كتابه وراء ظهره. فسوف يدعوا ثبوراً. ويصلى سعيراً}**[7]): هذا فصل ما بين الشقي والسعيد، وهذا كقوله تعالى: {يومئذٍ تُعرَضون لا تخفى منكم خافية. فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرأوا كتابيه. إني ظننت أني ملاقٍ حسابيه. فهو في عيشةٍ راضية. في جنة عالية. قطوفها دانية. كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما من أوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه. ولم أدر ما حسابيه. يا ليتها كانت القاضية. ما أغنى عني ماليه. هلك عني سلطانيه. خذوه فغُلّوه. ثم الجحيم صلُّوه. ثم في سلسلةٍ ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه. إنه كان لا

---

[1] الانشقاق - ٨
[2] صحيح البخاري – حديث ١٠٣
[3] الأنبياء - ٤٧
[4] المستدرك على الصحيحين للحاكم – حديث ١٩٣٧،
[5] سنن الترمذي – حديث ٢٦٣٩، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن غريب
[6] التكوير - ١٠
[7] الانشقاق – ٧-١٢

يؤمن بالله العظيم.ولا يحض على طعام المسكين}[1]، اللهم آتنا صحائف أعمالنا بأيماننا، ولا تؤتنا إياها بشمائلنا.

قال المصنف رحمه الله:

والميزان له كفتان ولسان توزن به الأعمال: {فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون.ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}[2]

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**والميزان له كفتان ولسان**) أي: أنه ميزانٌ حقيقي، وتقدم في حديث البطاقة بيان كفتي الميزان.

وقوله (**توزن به الأعمال**) أي: أن الأعمال هي التي توزن لتقدير الجزاء، والله أعلم بصفة ذلك، وقد دل على هذا المعنى قوله تعالى: {فأما من ثقلت موازينه. فهو في عيشةٍ راضية. وأما من خفَّت موازينه. فأمه هاوية}[3]، وصح أيضاً أن الذي يوزن صحائف الأعمال كما في حديث البطاقة وقد تقدم، وصح أيضاً أن الذي يوزن هو العبد المؤمن والكافر، فعن ابن مسعود رضي الله عنه أنه كان يجتني سواكاً من الأراك وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه فضحك القوم منه، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مم تضحكون؟ قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه، فقال:"والذي نفسي بيده لهما أثقل في الميزان من أُحد"[4]، وقال تعالى في الكفار: {أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه فحبطت أعمالهم فلا نقيم لهم يوم القيامة وزناً}[5]، ولا تعارض بين هذه الأوجه كلها.

وقوله تعالى: (**{فمن ثقُلت موازينه فأولئك هم المفلحون.ومن خفَّت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم في جهنم خالدون}**[6]): دليلٌ على وزن الأعمال كما تقدم.

---

[1] الحاقة – ١٨-٣٤

[2] المؤمنون – ١٠٢-١٠٣

[3] القارعة – ٦-٩

[4] مسند الإمام أحمد – حديث ٣٩٩١

[5] الكهف - ١٠٥

[6] المؤمنون – ١٠٢-١٠٣

قال المصنف رحمه الله:

ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوضٌ في القيامة ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ولنبينا محمد صلى الله عليه وسلم حوضٌ في القيامة**) أي: أن من أمور الغيب التي نؤمن بها لأنها ثبتت بطريق السمع الصحيح حوض النبي صلى الله عليه وسلم خلافاً لمن أنكره، وهو من الغيبيات التي لم ترد في القرآن الكريم ووردت في السنة الصحيحة، والحوض لغةً: مجتمع الماء.

وقوله (**ماؤه أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل**) أي: هذه صفة ماء حوض النبي صلى الله عليه وسلم نسأل الله تعالى أن يوردنا إياه ويسقينا من يده الشريفة،

وقد صح الحديث عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، من شرب منها فلا يظمأ أبداً"[1].

وقوله (**وأباريقه عدد نجوم السماء**) أي: عدد الأباريق التي يسقى بها كعدد نجوم السماء كثرة، وهذا إشارة إلى أن نبينا صلى الله عليه وسلم أكثر الأنبياء تابعاً يوم القيامة، وهذا مما شرف به الله تعالى نبينا على سائر الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين، كما قال صلى الله عليه وسلم:"إن لكل نبيٍ حوضاً، وإنهم يتباهون أيهم أكثر واردةً، وإني أرجو أن أكون أكثرهم واردةً"[2]، فلتستكثر أيها المسلم إذاً من الذرية الصالحة عسى أن تكون ممن يباهي بهم النبي صلى الله عليه وسلم يوم القيامة.

وقوله (**من شرب منه شربةً لم يظمأ بعدها أبداً**): دليله قول النبي صلى الله عليه وسلم :"أنا فرطكم على الحوض، من ورد شرب، ومن شرب لم يظمأ أبداً"[3]، ويحتمل أن من شرب من حوض النبي صلى الله عليه وسلم فهو علامة على أنه ممن قُدر له السلامة إن شاء الله فيدخل الجنة، ومن دخل الجنة لا يظمأ فيها لقوله تعالى: {وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى}[4]، ويحتمل أنه لخاصية في ماء الحوض والله تعالى أعلم بالصواب.

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٦٢٠٨، وصحيح مسلم – حديث ٢٤٧
[2] سنن الترمذي – حديث ٢٤٤٣، قال أبو عيسى: هذا حديث غريب
[3] صحيح البخاري – حديث ٦٢١٢، صحيح مسلم – حديث ٢٢٩٠ واللفظ له
[4] طه - ١١٩

وقوله (**مَن شرب منه**): يدل على أنه ليس كل أحد يشرب من الحوض، كما في بقية الحديث السابق:"وليردنَّ عليَّ أقوامٌ أعرفهم ويعرفوني ثم يُحال بيني وبينهم"[1]،
وفي الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:" ألا ليُذادن رجالٌ عن حوضي كما يُذاد البعير الضال أناديهم: ألا هلم، فيقال: إنهم قد بدّلوا بعدك، فأقول: سحقاً سحقاً"[2]، وهذا وعيدٌ شديد لمن بدل بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، يدخل فيه من بدل بالردة والكفر بعد الإيمان، ومن بدل بعده بالابتداع والإحداث في الدين لأن لفظ التبديل يتناول ذلك كله، فهذا وعيد شديد لأهل البدع.
قال الإمام القرطبي رحمه الله:" فمن بدَّل أو غيَّر أو ابتدع في دين الله مالا يرضاه الله و لم يأذن به الله، فهو من المطرودين عن الحوض المبتعدين منه المسودي الوجوه، وأشدهم طرداً وإبعاداً من خالف جماعة المسلمين وفارق سبيلهم؛ كالخوارج على اختلاف فرقها، والروافض على تباين ضلالها، والمعتزلة على أصناف أهوائها، فهؤلاء كلهم مبدِّلون ومبتدعون، وكذلك الظلمة المسرفون في الجور والظلم وطمس الحق وقتل أهله وإذلالهم، والمعلنون بالكبائر المستخفون بالمعاصي، وجماعة أهل الزيغ والأهواء والبدع كلٌ يخاف عليهم أن يكونوا عُنوا بالآية[3] والخبر كما بينا ولا يخلد في النار إلا كافر جاحد ليس في قلبه مثقال حبة خردلٍ من إيمان".

قال المصنف رحمه الله:

والصراط حق يجوزه الأبرار ، ويزل عنه الفجار ، ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً، فيدخلون الجنة بشفاعته ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات . قال تعالى: {يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون}[4]، ولا تنفع الكافر شفاعة الشافعين.

[1] صحيح البخاري – حديث ٦٢١٢، صحيح مسلم – حديث ٢٢٩٠ واللفظ له
[2] صحيح مسلم – حديث ٢٤٩
[3] يعني بالآية قوله تعالى: {يوم تبيَض وجوه وتسوَدُّ وجوه فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون} آل عمران – ١٠٦، وقد ذكر كلامه في تفسير الآية.
[4] الأنبياء - ٢٨

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**والصراط حق**) أي: الجسر الممدود على جهنم يعبره المؤمنون إلى الجنة كلٌ على قدر أعماله.

وقوله (**يجوزه الأبرار**) أي: يعبره **الأبرار**، جمه بار وهو المؤمن الذي أتى أعمال البر.

وقوله (**ويزل عنه الفجار**) أي: تدحض عنه أقدامهم، و(**الفجار**) جمع فاجر،

وفي الحديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:"ثم يُضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة ويقولون اللهم سلِّم سلِّم، قيل: يا رسول الله،وما الجسر؟ قال: دحضٌ مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسكٌ تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والرِكاب، فناجٍ مسلَّم ومخدوشٍ مرسَل، ومكدوسٍ في نار جهنم"[1]،

وقوله (**ويشفع نبينا صلى الله عليه وسلم فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر**): هذه شفاعته صلى الله عليه وسلم في إخراج أهل الكبائر من الموحدين من نار جهنم، وهذه غير شفاعته الكبرى في الفصل بين الخلائق، وهذا مذهب أهل السنة والجماعة أن عصاة الموحدين لا يخلدون في جهنم، وإنما هم في خطر المشيئة؛ إن شاء الله عفا عنهم وإن شاء أدخلهم النار حتى يطهرهم من ذنوبهم فيدخلوا الجنة بشفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم، وقد ذهب بعض أهل البدع والأهواء من الخوارج إلى تكفير مرتكب الكبيرة من الذنوب بمجرد ارتكابها وهذا باطل، فالمسلم الذي يرتكب الكبيرة مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، فإن تاب منها قبل الموت وإلا فهو في خطر المشيئة إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه، وبهذا يتبين أن أهل السنة والجماعة هم أهل الوسطية والاعتدال في مسألة الإيمان بين طرفي الإفراط والتفريط؛ فالخوارج أفرطوا وغلوا وحكموا بكفر مرتكب الكبيرة، والمرجئة فرَّطوا فجعلوا إيمان مرتكب الكبير كإيمان النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، وبقي أهل السنة والجماعة أسعد الناس حظاً بالحق، والحمد لله.

وقوله (**فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً**) أي: أن أهل الكبائر يمكثون في نار جهنم عقوبةً وتطهيراً لهم حتى تستحيل أجسامهم فحماً ما عدا مواضع السجود لأن الله تعالى حرم مواضع السجود على النار.

وقوله (**فيدخلون الجنة بشفاعته**) أي: يشفع النبي صلى الله عليه وسلم بإذن ربه في إخراج المؤمنين من أهل الكبائر من النار بعد أن تطهرهم النار من كبائرهم، فيخرجون من النار ثم يدخلون الجنة بعد أن ينبت الله تعالى أجسادهم في نهر الحياة فكأنهم لم يمسهم سوء قط فيدخلون الجنة.

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٧٧٣، صحيح مسلم – حديث ١٨٣ واللفظ له

وقوله (**ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات**) أي: أن هناك شفاعات أخرى غير شفاعة رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ منها شفاعة باقي الأنبياء في أقوامهم، وشفاعة المؤمنين في إخوانهم، وشفاعة الملائكة، تأمل تتمة الحديث السابق:"حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالذي نفسي بيده ما منكم من أحد بأشد منا شدة لله في استقصاء الحق من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا! كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال لهم: أخرجوا من عرفتم، فتحرَّم صورهم على النار، فيخرجون خلقاً كثيراً قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا! ما بقي فيها أحدٌ ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها أحداً ممن أمرتنا، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا! لم نذر فيها ممن أمرتنا أحداً، ثم يقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيُخرجون خلقاً كثيراً، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها خيراً، وكان أبو سعيد الخدري يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرأوا إن شئتم: {إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنةً يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً}[١]، فيقول الله عز وجل: شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين، فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قوماً لم يعلموا خيراً قط قد عادوا حمماً فيلقيهم في نهر في أفواه الجنة يقال له نهر الحياة فيخرجون كما تخرج الحبة في حميل السيل"[٢]،

وقوله (**قال تعالى:{يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون إلا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون}[٣]**): هذه الآية في الملائكة، والشاهد منها إثبات الشفاعة لهم فيمن أذن الله تعالى ورضي له بالشفاعة، فالشفاعة لها شرطان: أن يأذن الله فيها وأن يكون المشفوع فيه مرضياً لله تعالى،

وقول المصنف (**ولا تنفع الكافرَ شفاعةُ الشافعين**) أي: لا تقع أصلاً ولهذا لا ينتفع بها، قال تعالى: {فما تنفعهم شفاعة الشافعين}[٤].

قال المصنف رحمه الله:

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقابٌ لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون، و{إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لا يُفتَّر عنهم وهم فيه مُبلسون}[٥]، ويؤتى

[١] النساء - ٤٠
[٢] صحيح مسلم – حديث ١٨٣
[٣] الأنبياء - ٢٨
[٤] المدثر - ٤٨
[٥] الزخرف – ٧٤-٧٥

بالموت في صورة كبشٍ أملح، فيُذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: "يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت، ويا أهل النار خلودٌ ولا موت"[١].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**والجنة والنار مخلوقتان**) أي: أنهما موجودتان الآن خلافاً لمن زعم أنهما تخلقان يوم القيامة، والأدلة على ذلك كثيرة، منها أن آدم عليه السلام أخرج من الجنة بعد أن أكل من الشجرة التي نهاه الله عنها، فدل على أن الجنة مخلوقةٌ حقيقةً وأن شجرها موجود يؤكل منه، قال تعالى: {فقلنا يا آدم إن هذا عدوٌ لك ولزوجك فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى. إن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى. وأنك لا تظمأ فيها ولا تضحى. فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد ومُلكٍ لا يبلى. فأكلا منها فبدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة}[٢]، فسكنى آدم الجنة وأكله وحواء منها وأخذهما من ورق الجنة ليسترا سوآتهما كل هذا مما يدل على أن الجنة وما فيها موجودةٌ مخلوقة، وكذلك جهنم حيث قال تعالى: {فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أُعدت للكافرين}[٣]، والإعداد: التهيئة ولا يكون إلا لشيءٍ موجود، ومما يتصل بهذا أن نعيم الجنة وعذاب الجهنم نعيم وعذاب حقيقيان يتعلقان بالبدن والروح خلافاً لملاحدة الفلاسفة الذين يزعمون أن الجنة والنار تعبيران عن نعيم وعذاب معنويين.

وقوله (**لا تفنيان**) أي: أنهما خالدتان، حيث أخبر الله تعالى بتأبيد كل منهما؛ قال تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات سندخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً وعد الله حقاً ومن أصدق من الله قيلاً}[٤]، وقال تعالى: {إن الله لعن الكافرين وأعد لهم سعيراً. خالدين فيها أبداً لا يجدون ولياً ولا نصيراً}[٥].

وقوله (**فالجنة مأوى أوليائه**) أي: المؤمنين المتقين الذين آمنوا بالله ثم استقاموا على صراطه المستقيم، قال تعالى: {إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألّا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون. نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا وفي الآخرة ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم ولكم فيها ما تدَّعون. نُزُلاً من غفورٍ رحيم}[٦].

---

[١] متفق عليه، صحيح البخاري – حديث ٤٤٥٣، ومسلم – حديث ٢٨٤٩
[٢] طه – ١١٧-١٢١
[٣] البقرة - ٢٤
[٤] النساء - ١٢٢
[٥] الأحزاب – ٦٤-٦٥
[٦] فصلت – ٣٠-٣٢

وقوله (**والنار عقابٌ لأعدائه**) أي: كما قال تعالى: {ويوم يُحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزَعُون}[١]، وقال تعالى: {ذلك جزاء أعداء الله النار لهم فيها دار الخلد جزاءً بما كانوا بآياتنا يجحدون}[٢]، فنار جهنم عقوبة لمن عادى الله، وكفر بآياته، وصد عن سبيله، واضطهد وفتن أولياءه، كما قال تعالى: {إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا فلهم عذاب جهنم ولهم عذاب الحريق}[٣]، فالويل كل الويل لمن عطَّل حكم الله وعطَّل شريعة الله وعطَّل حدود الله وحكم بغير ما أنزل الله، والويل كل الويل لمن حارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، والويل كل الويل لمن والى أعداء الله من اليهود والنصارى والمشركين والملحدين وعادى أولياء الله الصالحين من المؤمنين والعلماء والمجاهدين، ولمن ضيق على أولياء الله المؤمنين وانتهك حرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وديارهم، فإن جهنم لهؤلاء بالمرصاد، قال تعالى: {إن جهنم كانت مرصاداً. للطاغين مآباً}[٤].

وقوله (وأهل الجنة فيها مخلدون) أي: باقون بقاءً دائماً لا زوال بعده،

وقوله تعالى: (**{إن المجرمين في عذاب جهنم خالدون. لا يُفتَّر عنهم وهم فيه مُبلسون}**[٥]): دليلٌ على خلود أهل النار من غير المؤمنين في النار، (**لا يُفتَّر**): لا يخفف، و(**مُبلِسون**): مقطوعون آيسون قد تغير حالهم.

وقول المصنف (**ويؤتى بالموت في صورة كبشٍ أملح**) أي: أن الموت – وهو مخلوق من مخلوقات الله كما قال تعالى: {الذي خلق الموت والحياة}[٦] – يؤتى به على هذه الصورة، و(**الكبش**): فحل الضأن، و(**الأملح**): الكبش الذي شعره مختلط البياض والسواد.

وقوله (**فيُذبح بين الجنة والنار**) أي: وهذه هي السعادة الكبرى لأهل الجنة حيث فازوا بالنعيم الدائم السرمدي لا ينغصه عليهم الموت الذي هو هاذم اللذات، وهي الحسرة الكبرى لأهل النار لأنه إذا ذبح الموت فلا يقضى على أهل النار أبداً بل هم في عذاب دائم، قال تعالى: {والذين كفروا لهم نار جهنم لا يُقضى عليهم فيموتوا ولا يُخفَف عنهم من عذابها كذلك نجزي كل كفور}[٧]،

وقوله (**ثم يقال: "يا أهل الجنة خلودٌ ولا موت، ويا أهل النار خلودٌ ولا موت"**[٨]) أي: يا أهل الجنة انعموا بنعيم دائم لا يقطعه الموت ولا ينغصه عليكم ذكر الموت، ويا أهل النار تحسروا على أنفسكم وآيسوا من انقطاع هذا العذاب عنكم، نسأل الله السلامة والعافية.

---

[١] فصلت - ١٩
[٢] فصلت - ٢٨
[٣] البروج - ١٠
[٤] النبأ – ٢١-٢٢
[٥] الزخرف – ٧٤-٧٥
[٦] الملك - ٢
[٧] فاطر - ٣٦
[٨] متفق عليه، صحيح البخاري – حديث ٤٤٥٣، ومسلم – حديث ٢٨٤٩

فصل في بعض خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله:

ومحمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمُ النبيين وسيدُ المرسلين، لا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته ويشهد بنبوته، ولا يُقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمةٌ إلا بعد دخول أمته، صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم، أمته خير الأمم وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومحمدٌ رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتمُ النبيين**) أي: أنه لا نبي ولا رسول بعد محمد بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه، قال تعالى: {ما كان محمدٌ أبا أحدٍ من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليماً}[1]، وقال صلى الله عليه وسلم:"وإنه لا نبي بعدي"[2]، وبهذا تعلم كفر من ادعى النبوة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومنهم اليوم الحركة الباطنية الكافرة المعروفة بالقاديانية التي تأسست في أحضان الاستعمار البريطاني الصليبي لشبه القارة الهندية، حيث ادعى الهالك مرزا غلام أحمد النبوة تحت رعاية المستعمر الإنجليزي، وكان هدف الحركة القاديانية هدم عقيدة المسلمين وإبعادهم عن فريضة الجهاد تمكيناً للمستعمر الإنجليزي، وإن من أخطر الجذور العقدية لهذه الفرقة الباطنية الكافرة إنكار ختم النبوة بمحمد صلى الله عليه وسلم.

وقوله (**وسيدُ المرسلين**) أي: أن رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم هو أفضل رسل الله تعالى وأعلاهم منزلةً وفضلاً، وقد بين الله تعالى تفاضل الرسل بعد اشتراكهم في أصل الرسالة، قال تعالى: {تلك الرسل فضّلنا بعضهم على بعض}[3]، وأخبر صلى الله عليه وسلم فقال:"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافع وأول مشفع"[4]، ولا تعارض بين هذا وبين قوله صلى

---

[1] الأحزاب - ٤٠
[2] صحيح البخاري – حديث ٣٢٦٨، وصحيح مسلم – حديث ١٨٤٢
[3] البقرة - ٢٥٣
[4] صحيح مسلم – حديث ٢٢٧٨

الله عليه وسلم:"لا ينبغي لعبدٍ أن يقول أنا خيرٌ من يونس بن متى"[١]؛ فإنه محمولٌ على التواضع منه صلوات الله وسلامه عليه، أو أن النهي مصروف إلى المفاضلة في أصل النبوة، والله أعلم.

وقوله (**لا يصح إيمان عبدٍ حتى يؤمن برسالته**) أي: أن أصل الإيمان لا ينعقد حتى يؤمن العبد بأن محمداً رسولُ الله، إيمان تصديق له وانقياد لأمره صلوات ربي وسلامه عليه، قال تعالى: {والذين آمنوا وعملوا الصالحات وآمنوا بما نُزل على محمد وهو الحق من ربهم كفَّر عنهم سيئاتهم وأصلح بالهم}[٢]، وقال صلى الله عليه وسلم:"والذي نفس محمدٍ بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهوديٌ ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أُرسلت به إلا كان من أصحاب النار"[٣].

وقوله (**ويشهد بنبوته**) أي: أن شهادة التوحيد لا تتم إلا بأن يشهد أن محمداً رسول الله مع شهادته أن لا إله إلا الله، فإن النبي صلى الله عليه وسلم لما بعث معاذاً إلى اليمن قال له:"ادعهم إلى شهادة أن لا إله وأني رسول الله، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقةً في أموالهم"[٤] الحديث، فلم يخاطبهم بشرائع الإسلام الواجبة حتى ينعقد أصل الإيمان بشهادة التوحيد والشهادة بنبوته صلى الله عليه وسلم.

وقوله (**ولا يُقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته**) أي: أن من خصائصه صلوات الله وسلامه عليه أنه صاحب الشفاعة العظمى في الفصل بين الخلائق يوم القيامة، فعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:" يجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبو الناس، خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا فيقول: لست هناكم ويذكر ذنبه فيستحي، ائتوا نوحاً فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحي فيقول: ائتوا خليل الرحمن فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا موسى عبداً كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر قتل النفس بغير نفس فيستحي من ربه فيقول: ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا محمداً صلى الله عليه وسلم عبداً غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتونني فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذن لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجداً فيدعني ما شاء الله ثم يقال: ارفع رأسك وسل تُعطَه وقل يُسمع واشفع تشفَّع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع فيُحد لي حداً فأُدخلهم الجنة، ثم أعود

---

[١] صحيح البخاري – حديث ٣٢١٥
[٢] محمد - ٢
[٣] صحيح مسلم – حديث ١٥٣
[٤] صحيح البخاري – ١٣٣١، وصحيح مسلم - ١٩

إليه فإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع فيُحد لي حداً فأُدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة فأقول: ما بقى في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود"[1].

وقوله (**ولا يدخل الجنة أمةٌ إلا بعد دخول أمته**) أي: أن هذا أيضاً من خصائص النبي صلى الله عليه وسلم أن الله شرفه وشرف أمته بأنهم أول من يدخلون الجنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :"نحن الآخرون، الأولون يوم القيامة؛ ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق"[2] الحديث.

وقوله (**صاحب لواء الحمد**) أي: الراية، راية الحمد حيث يجتمع تحته الحامدون يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم:"أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر، وبيدي لواء الحمد، وما من نبي يومئذٍ آدم فمن سواه إلا تحت لوائي"[3].

وقوله (**والمقام المحمود**) أي: مقام الشفاعة العظمى في الفصل بين الخلائق كما تقدم، ودليله قوله تعالى: {عسى أن يبعثك ربك مقاماً محموداً}[4]، قال الإمام الطبري رحمه الله:"فقال أكثر أهل العلم ذلك هو المقام الذي هو يقومه صلى الله عليه وسلم يوم القيامة للشفاعة للناس ليريحهم ربُهم من عظيم ما هم فيه من شدة ذلك اليوم".

وقوله (**والحوض المورود**) أي: الحوض الذي يرد عليه المؤمنون من أتباع محمد صلى الله عليه وسلم الذي لم يرتدُّوا على أعقابهم ولم يبدلوا ولم يبتدعوا في دين الله فيشربون من يده الشريفة شربةً لا يظمأون بعدها أبداً كما تقدم.

وقوله (**وهو إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم**) أي: يوم القيامة كما قال صلى الله عليه وسلم:"إذا كان يوم القيامة كنت إمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير فخر"[5]، وهذا من خصائصه صلوات ربي وسلامه عليه، وبهذا وغيره يظهر فضله وشرفه صلوات ربي وسلامه عليه على غيره من الخلق، وبهذا أيضاً يظهر عظم جريمة من يتجرأ على شتمه أو سبه أو التنقص من قدره، ويتبين أن ما أجمع عليه أهل العلم من إهدار دم شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم وعقوبته بالقتل هو أقل ما يستحقه مرتكب هذا الفعل الشنيع، وحقٌ على أمةٍ أحبت نبيها صلى الله عليه وسلم أن تذب عنه بكل ما أوتيت، ووالله لئن لم تُجيش الجيوش لإنزال العقوبة بأمثال هؤلاء المجرمين المتجرئين على مقام سيد الخلق فلمثل ماذا تُجيش الجيوش وتسل السيوف إذاً؟!

---

[1] صحيح البخاري – ٤٢٠٦، وصحيح مسلم - ١٩٣

[2] صحيح مسلم - ٨٥٥

[3] سنن الترمذي – حديث ٣١٤٨ قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح

[4] الإسراء - ٧٩

[5] سنن الترمذي - ٤٣١٤

وقوله (**أمته خير الأمم**) أي: أمة الإجابة؛ فأمة الرسول صلى الله عليه وسلم قسمان: أمة الدعوة وهي تشمل كل الناس منذ بعثته صلى الله عليه وسلم لأنه مرسلٌ للناس كافة كما قال تعالى: {وما أرسلناك إلا كافّةً للناس بشيراً ونذيراً}[1]، وأمة الإجابة وتشمل كل من آمن به وصدقه واتبع شريعته وسنته، وهي المقصودة هنا، ودليل كونها خير الأمم قوله تعالى: {كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله}[2]، وهذه الخيرية للأمة حيثما التزمت سمتها القرآني: الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والإيمان بالله تعالى كما لا يخفى.

وقوله (**وأصحابه خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام**) أي: أن لكل نبي من الأنبياء صحب يأخذون عنه ويحفظون سنته وينشرونها بين الناس، وإن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم هم خير صحبةٍ لخير نبي، و**الصحابي**: هو من لقي النبي صلى الله عليه وسلم مؤمناً ومات على ذلك، وهم خير القرون كما وصفهم الله تعالى: {كنتم خير أمةٍ أُخرجت للناس}[3]؛ فإن هذا الخطاب أول ما توجه توجه إليهم، وقال صلى الله عليه وسلم:"خير القرون قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم"[4].

---

[1] سبأ - ٢٨
[2] آل عمران - ١١٠
[3] آل عمران - ١١٠
[4] صحيح البخاري – حديث ٢٥٠٨، وصحيح مسلم – حديث ٢٥٣٥

فصل في بعض فضائل الخلفاء الراشدين

قال المصنف رحمه الله:

وأفضل أمته أبو بكر الصِدِّيق ثم عمر الفاروق ثم عثمان ذو النورين ثم علي المرتضى رضي الله عنهم أجمعين، لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حيٌّ: أفضلُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلا ينكره"[1].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وأفضل أمته أبو بكر الصدِّيق**) أي:أفضلها بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأبو بكر الصديق هو عبد الله بن أبي قحافة القرشي التيمي، أول من آمن من الرجال، وصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ورد في القرآن ذكره حيث قال تعالى: {إلّا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا}[2]، وهو أحب الرجال إليه، فعن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم بعثه على جيش ذات السلاسل، فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعدَّ رجالاً"[3]، وقال صلى الله عليه وسلم:"إنه ليس من الناس أحدٌ أمنَّ علي في نفسه وماله من أبي بكر بن أبي قحافة، ولو كنت متخذاً من الناس خليلاً لاتخذت أبا بكر خليلاً ولكن خلة الإسلام أفضل، سُدوا عني كل خوخة في هذا المسجد غير خوخة أبي بكر"[4]، ومعنى المن هنا جوده رضي الله عنه بماله ونفسه في سبيل الله ونصرة رسول الله صلى الله عليه وسلم،

وقوله (**الصِدِّيق**) : سمي به لأنه صدَّق رسول الله صلى الله عليه وسلم دون تردد، وقد أتى المشركون أبا بكر حين أخبرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بإسرائه ومعراجه، فقالوا:"يا أبا بكر هل لك في صاحبك يخبر أنه أتى في ليلته هذه مسيرة شهر ورجع في ليلته، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن كان

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٣٤٩٤ ولفظه:"كنا في زَمَنِ النبي صلى الله عليه وسلم لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النبي صلى الله عليه وسلم لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ"، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة – حديث ٨٥٧، وفي مسنده – حديث ٤٦٢٦، والترمذي – حديث ٣٧٠٧،

[2] التوبة - ٤٠

[3] صحيح البخاري – حديث ٣٤٦٢، وصحيح مسلم - ٢٣٨٤

[4] صحيح البخاري - ٤٥٥

قاله فقد صدق، وإنا لنصدقه فيما هو أبعد من هذا؛ لنصدقه على خبر السماء"، ولقد أيد الله تعالى به الدين بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث جيش الجيوش لحرب المرتدين وأقام الله به أمر الدين،فرضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**ثم عمر الفاروق**) أي: أنه بعد أبي بكر في الفضل، وهو عمر بن الخطاب بن نفيل العدوي، وكان إسلامه في السنة السادسة من البعثة، وكان فرقاناً بين الحق والباطل، وهو ثاني الخلفاء الراشدين، استخلفه أبو بكر رضي الله عنه فكان نعم المستخلف، قال صلى الله عليه وسلم مخاطباً إياه:"والذي نفسي بيده، ما لقيك الشيطان قط سالكاً فجاً إلا سلك فجاً غير فجك"[١]، وقال صلى الله عليه وسلم:"إنه قد كان فيما قبلكم من الأمم محدَّثون، وإنه إن كان في أمتي هذه منهم فإنه عمر بن الخطاب"[٢]، وقد وافق رضي الله عنه الوحي في مسائل عديدة نزل بها القرآن الكريم، وقتل شهيداً وهو يؤم الناس في الصلاة، فرضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**ثم عثمان ذو النورين**) أي: أنه بعد عمر في الفضل، وهو عثمان بن عفان من بني أمية، وقوله ذو النورين لأنه تزوج بنتين من بنات رسول الله صلى الله عليه وسلم هما رقية وأم كلثوم رضي الله عنهما وأرضاهما، وكان اختيار عثمان للخلافة من قبل أهل الشورى الذين عينهم عمر بن الخطاب ورعاً منه أن يتحمل تبعة تعيين الخليفة من بعده، وقد كان سخياً بماله في سبيل الله تعالى، وقال النبي صلى الله عليه وسلم:" من يحفر بئر رومة فله الجنة؛ فحفرها عثمان، وقال: ومن جهز جيش العسرة فله الجنة؛ فجهزه عثمان"[٣]، وقد قُتل شهيداً في الفتنة رضي الله عنه وأرضاه،

وقوله (**ثم علي المرتضى**) أي: أنه بعد عثمان في الفضل وذلك لاختيار أهل الشورى لعثمان، وهو أول من أسلم من الصبيان، وهو زوج ابنته صلى الله عليه وسلم فاطمة رضي الله عنها، وابناه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، وقوله المرتضى إشارة إلى قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي:"أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى"[٤]، وهو رضي الله عنه الذي فتح الله على يديه في خيبر حيث أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم الراية وقال:"لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح الله على يديه يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله"[٥]، كان من فقهاء الصحابة وهو أقضاهم حتى يقال: قضية ولا أبا حسن لها، وهو رضي الله عنه رابع الخلفاء الراشدين، قُتل شهيداً رضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**رضي الله عنهم أجمعين**): هذا هو المعتقد الصحيح في صحابة رسول الله وهو معرفة الفضل لهم جميعاً مع اعتقاد تفاضل بعضهم على بعض، لكنهم مشتركون في الفضل في أصل الصحبة فوجب الترضي عنهم جميعاً.

---

[١] صحيح البخاري – حديث ٣١٢٠، وصحيح مسلم – حديث ٢٣٩٦
[٢] صحيح البخاري – حديث ٣٢٨٢، وصحيح مسلم – حديث ٢٣٩٨
[٣] أخرجه البخاري معلقاً بالجزم
[٤] صحيح البخاري – حديث ٣٥٠٣، وصحيح مسلم – حديث ٢٤٠٤
[٥] صحيح البخاري – ٢٨٤٧، وصحيح مسلم – حديث ٢٤٠٦

وقوله (**لما روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "كنا نقول والنبي صلى الله عليه وسلم حيٌّ: أفضلُ هذه الأمة بعد نبيها أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، فيبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلا ينكره"**[1]) أي: أن هذا التفضيل ليس بالتشهي والهوى، وإنما نتوقف فيه عند دليل الشرع، والأدلة على هذا التفضيل والترتيب كثيرة ليس هذا موضع بسطها، وقد اختار المصنف دليلاً صريحاً في هذا الترتيب، وقول ابن عمر رضي الله عنهما: فيبلغ ذلك النبيَّ صلى الله عليه وسلم فلا ينكره: هذا من السنة التقريرية،وهي حجة كما لا يخفى، وهؤلاء الأربعة هم الخلفاء الراشدون المأمور باتباع سنتهم كما تقدم في حديث العرباض بن سارية.

قال المصنف رحمه الله:

وأبوبكر رضي الله عنه أحقُّ خلق الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم لفضله وسابقته، وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة، ثم من بعده عمر رضي الله عنه، لفضله وعهد أبي بكر إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وأبو بكر رضي الله عنه أحقُّ خَلقِ الله بالخلافة بعد النبي صلى الله عليه وسلم**) أي: أن إجماع الصحابة على خلافة أبي بكر رضي الله عنه قد وافق الحق في نفس الأمر، وقد صح الحديث:"أتت امرأة النبي صلى الله عليه وسلم فأمرها أن ترجع إليه، قالت: أرأيت إن جئت و لم أجدك؟ كأنها تقول الموت، قال صلى الله عليه وسلم: إن لم تجديني فأتي أبا بكر}[2].

وقوله (**لفضله**) أي: لفضل أبي بكر على سائر الأمة بعد نبيها، فهو أول من أسلم من الرجال، وهو صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في الهجرة، ومؤنسه في الغار حين كان يطلبه الكفار، وهو الصَديق الصِدِّيق، وفضائله ومناقبه رضي الله عنه تنوء بهذا الموضع المختصر.

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٣٤٩٤ ولفظه:"كنا في زَمَنِ النبي صلى الله عليه وسلم لَا نَعْدِلُ بِأَبِي بَكْرٍ أَحَدًا ثُمَّ عُمَرَ ثُمَّ عُثْمَانَ ثُمَّ نَتْرُكُ أَصْحَابَ النبي صلى الله عليه وسلم لَا نُفَاضِلُ بَيْنَهُمْ"، وأخرجه أحمد في فضائل الصحابة – حديث ٨٥٧، وفي مسنده – حديث ٤٦٢٦، والترمذي – حديث ٣٧٠٧

[2] صحيح البخاري – حديث ٣٤٥٩، وصحيح مسلم – حديث ٢٣٨٦

وقوله (**لسابقته**) أي: سبقه رضي الله عنه إلى كل خير جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال عمر بن الخطاب:"أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن نتصدق، فوافق ذلك مالاً فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوماً، قال: فجئت بنصف مالي، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما أبقيت لأهلك؟ قلت: مثله، وأتى أبو بكر بكل ما عنده، فقال: يا أبا بكر ما أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: والله لا أسبقه إلى شيءٍ أبداً"[١].

وقوله (**وتقديم النبي صلى الله عليه وسلم له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم**) أي: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رضيه إماماً للصحابة في أعظم أمور الدين ألا وهي الصلاة، أفلا يرضاه لهم إماماً يحرس لهم الدين ويسوسهم به في أمور الدنيا،

وقوله (**وإجماع الصحابة على تقديمه ومبايعته**) أي: ما آل إليه اجتماع الصحابة من المهاجرين والأنصار في سقيفة بني ساعدة بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم، حيث استقر رأيهم على مبايعة أبي بكر الصديق وأجمعوا على ذلك،

وقوله (**ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة**) أي: أن إجماع الصحابة حجة، وعن ابن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:"إن الله لا يجمع أمتي – أو قال أمة محمد صلى الله عليه وسلم – على ضلالة"[٢].

وقوله (**ثم من بعده عمر رضي الله عنه**) أي: أنه هو الخليفة الثاني بعد أبي بكر رضي الله عنهما،

وقوله (**لفضله**) أي: استحقها لفضله ومنقبته ومكانته رضي الله عنه.

وقوله (**وعهد أبي بكر إليه**) أي: أن خلافة عمر بعد أبي بكر كانت بالتعيين أو الاستخلاف، وهي أحد أوجه تولي الإمامة العامة، وإن تعيين عمر لخلافة المسلمين يعد من مناقب أبي بكر العظمى فرضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**ثم عثمان رضي الله عنه**) أي: هو الخليفة الراشد الثالث بعد عمر بن الخطاب رضي الله عنهما.

وقوله (**لتقديم أهل الشورى له**) أي: أن عمر لم يعينه بل عين أهل الشورى ليختاروا واحداً منهم، فكان الاختيار لعثمان رضي الله عنه.

وقوله (**ثم علي رضي الله عنه**) أي: رابع الخلفاء الراشدين بعد أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عن الجميع.

وقوله (**لفضله وإجماع أهل عصره عليه**) أي: هذان دليلان على استحقاقه للخلافة رضي الله عنه وأرضاه.

---

[١] سنن الترمذي – حديث ٣٦٧٥
[٢] سنن الترمذي – حديث ٢١٦٧

قال المصنف رحمه الله:

هؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"[١]، وقال صلى الله عليه وسلم:"الخلافة من بعدي ثلاثون سنة"[٢]، فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه .

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**هؤلاء**) أي: أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله (**الخلفاء**) أي: بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم، والخلفاء جمع خليفة، يقال خلفته أي جئت بعده، والخلافة: الإمارة؛ والمقصود الخلافة العامة أي الإمامة الكبرى التي عرفها الإمام الماوردي رحمه الله فقال:"الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا به"، ويشترط فيها الإسلام والبلوغ والذكورة والعقل والحرية والعدالة والسلامة البدنية التي تؤهله للقيام بمهامه وكفاءته للقيام بمهام الإمامة.

وقوله (**الراشدون**) أي: هذا نعتهم، والرشد ضد الغي، وقد بين الله تعالى صفة الراشدين حيث مخاطباً الصحابة رضوان الله عليهم: {واعلموا أن فيكم رسول الله لو يطيعكم في كثيرٍ من الأمر لَعَنِتُّم ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزيَّنه في قلوبكم وكرَّه إليكم الكفر والفسوق والعصيان أولئك هم الراشدون}[٣].

وقوله (**المهديون**) أي: هذا نعتهم أيضاً، والهداية ضد الضلالة، وقد أمر الله تعالى بالاقتداء بمن هذه صفته حيث قال: {أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده}[٤]، وهذه الخصائص أعني الرشد والهداية قد تعينت بالنص في الخلفاء الأربعة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم بدليل:

قوله (**الذين قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيهم: "عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي عضوا عليها بالنواجذ"**[٥]) أي: هم الخلفاء الشرعيون الذين أخبر عنهم رسول الله

---

[١] أخرجه الترمذي – حديث ٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة – حديث ٤٢، والدارمي في سننه – حديث ٩٥، وأحمد في مسنده – حديث ١٧١٨٤

[٢] أخرجه الترمذي – حديث ٢٢٢٦ وقال: هذا حديث حسن، وأحمد في مسنده – حديث ٢١٩٦٩

[٣] الحجرات - ٧

[٤] الأنعام - ٩٠

[٥] أخرجه الترمذي – حديث ٢٦٧٦ وقال: حديث حسن صحيح، وابن ماجة – حديث ٤٢، والدارمي في سننه – حديث ٩٥، وأحمد في مسنده – حديث ١٧١٨٤

صلى الله عليه وسلم، وقوله صلى الله عليه وسلم عليكم أي واجب عليكم؛ فجعل اتباعهم أمراً لازماً وسنتهم سنةً شرعية، وقد تقدم بيان مفردات الحديث.

وقوله (**وقال صلى الله عليه وسلم:"الخلافة من بعدي ثلاثون سنة"**[1]) أي: أن مجموع سنوات خلافة الخلفاء الأربعة الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم ثلاثون سنة فيكون موافقاً لما أخبر به النبي صلى الله عليه وسلم من كون الإمامة على رسم الخلافة لا الملك، كما جاء في رواية الحاكم في مستدركه:" عن سعيد بن جمهان عن سفينة أبي عبد الرحمن مولى النبي صلى الله عليه وسلم: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: خلافة النبوة ثلاثون سنة؛ قال سعيد: أمسك؛ أبو بكر سنتين، وعمر بن الخطاب عشر سنين، وعثمان بن عفان اثنتي عشرة سنة، وعلي ست سنين"[2]، وجاء في رواية الترمذي :"الخلافة في أمتي ثلاثون سنة ثم ملكٌ بعد ذلك"[3].

وقوله (**فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه**) أي: بتمام خلافته تمت الثلاثون ثم تحولت الإمامة إلى الملك، و لم يطَّرد وصف الخلافة الراشدة المهدية.

---

[1] أخرجه ابو داود – حديث ٤٦٤٦، و الترمذي – حديث ٢٢٢٦ وقال: هذا حديث حسن، ولفظه:"الخلافة في أمتي ثلاثون سنة"، وأحمد في مسنده – حديث ٢١٩٦٩، والحاكم في مستدركه – حديث ٤٦٩٧

[2] المستدرك على الصحيحين – حديث ٤٦٩٧

[3] سنن الترمذي – حديث ٢٢٢٦

فصل في أن أسماء الدين على الظاهر ولا يعلم الباطن إلا الله

قال المصنف رحمه الله:

ونشهد للعشرة بالجنة كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال:" أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة"[1]، وكل من شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بالجنة شهدنا له بها كقوله صلى الله عليه وسلم:"الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"[2].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ونشهد للعشرة بالجنة**) أي: العشرة المبشرين بالجنة على التعيين وليس هذا العدد للحصر، فالمعينون الذين بشرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالجنة كثر، ولكن اشتهر هؤلاء العشرة لأنه صلى الله عليه وسلم سردهم في موضع واحد رضي الله عنهم أجمعين.

وقوله (**كما شهد لهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال**) أي: هذا هو الدليل على كونهم في الجنة لأن نص الشرع قد ورد بهذا التعيين، ولأن هذا مما لا يجتهد فيه بل يتوقف فيه على خبر الشرع،وهم:

(**أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة**): وقد تقدم التعريف بهم وهم عن التعريف أغنياء.

وقوله (**وطلحة في الجنة**) أي: طلحة بن عبيد الله بن عثمان التيمي أحد الثمانية السابقين إلى الإسلام، قال قيس:"رأيت يد طلحة شلاء وقى بها النبي صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد"[3]، وقال صلى الله عليه وسلم:" من سرَّه أن ينظر إلى شهيدٍ يمشي على وجه الأرض فلينظر إلى طلحة بن عبيد الله"[4] ، رضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**والزبير في الجنة**) أي: الزبير بن العوام الأسدي ابن عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم صفية رضي الله عنها، أول من سل سيفاً في الإسلام، قال النبي صلى الله عليه وسلم :"من يأتيني بخبر القوم – يوم الأحزاب ؟ قال الزبير: أنا، ثم قال: من يأتيني بخبر القوم؟ قال الزبير: أنا، فقال النبي صلى الله

---

[1] سنن الترمذي – حديث ٣٧٤٧
[2] سنن الترمذي – حديث ٣٧٦٨
[3] صحيح البخاري – حديث ٣٨٣٦
[4] سنن الترمذي – حديث ٣٧٣٩

عليه وسلم:"إن لكل نبي حوارياً، وحواريَّ الزبير"[1]، والحواري: خاصة النبي وناصرته المخلصين له، فرضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**وسعد في الجنة**) أي: سعد بن أبي وقاص القرشي الزهري، كان من السابقين للإسلام، قال رضي الله عنه: مكثت سبع ليال وأنا ثلث الإسلام، وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله، قال علي رضي الله عنه:"ما رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفدّي رجلاً بعد سعد، سمعته يقول:"ارم فداك أبي وأمي"[2]، رضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**وسعيد في الجنة**) أي: سعيد بن زيد بن عمرو بن نفيل العدوي، كان من السابقين وأسلم قبل عمر بن الخطاب، وكان إسلام عمر بن الخطاب عنده في بيته حيث كان زوج أخته فاطمة وسمع عندهما شيئاً من القرآن فأسلم، رضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**وعبد الرحمن بن عوف في الجنة**) أي: عبد الرحمن بن عوف بن عبد عوف الزهري القرشي، أسلم قديماً، أحد الستة أصحاب الشورى الذين أخبر عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي وهو عنهم راض، روى البخاري أنه أُتي عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه يوماً بطعامه فقال:"قُتل مصعب بن عمير وكان خيراً مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بُردة، وقُتل حمزة – أو رجل آخر – خيرٌ مني فلم يوجد له ما يكفن فيه إلا بردة، لقد خشيت أن يكون قد عُجلت لنا طيباتنا في حياتنا الدنيا، ثم جعل يبكي"[3]، فرضي الله عنه وأرضاه.

وقوله (**وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة**) أي: عامر بن عبد الله الجراح الفهري، وهو الذي انتزع من وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حلقتي الدرع يوم أُحُد، وهو أمين هذه الأمة، قال صلى الله عليه وسلم:"إن لكل أمةٍ أميناً وإن أميننا أيتها الأمة أبو عبيدة بن الجراح"[4]، وقال صلى الله عليه وسلم لأهل نجران:"لأبعثنَّ – يعني عليكم – أميناً حقَّ أمين؛ فأشرف أصحابه، فبعث أبا عبيدة رضي الله عنه"[5]، توفي في طاعون عمواس، رضي الله عنه وأرضاه.

وقول المصنف رحمه الله (**وكل من شهد له النبي صلى الله عليه سلم بالجنة**) أي: وهذا يشمل الأفراد المعينين كما يشمل الجماعة التي شهد لها بالجنة، كأهل بدر وأصحاب الشجرة التي بايعوا تحتها رسول الله صلى الله عليه وسلم.

وقوله (**شهدنا له بها**) أي: لورود الخبر عن النبي صلى الله عليه وسلم، وإلا فإن طريق أهل السنة والجماعة عدم الشهادة لمعيَّنٍ بالجنة أو النار ما لم يرد النص أو الدليل بذلك، فهذه أمور توقيفية لا سبيل إلى معرفتها بغير طريق السمع الصحيح.

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٢٦٩١، وصحيح مسلم – حديث ٢٤١٥
[2] صحيح البخاري – حديث ٢٧٤٩، وصحيح مسلم – حديث ٢٤١١
[3] صحيح البخاري – حديث ١٢١٥
[4] صحيح البخاري – حديث ٣٥٣٤، وصحيح مسلم – حديث ٢٤١٩
[5] صحيح البخاري – حديث ٣٥٣٥، وصحيح مسلم – حديث ٢٤٢٠

وقوله (**كقوله صلى الله عليه وسلم:"الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة"**[1]) أي: أن الحسن والحسين رضي الله عنهما ممن نشهد لهما بالجنة لورود النص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بذلك، وهم من غير العشرة الواردين في الحديث السابق.

و(**الحسن**): هو الحسن بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأمه فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ورضي الله عنها، وهو سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وعن أبي بكرة رضي الله عنه قال: أخرج النبي صلى الله عليه وسلم ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر فقال:"ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين"[2]، وقد كان حيث تنازل رضي الله عنه وأرضاه عن المُلك حقناً لدماء المسلمين ومراعاة لأمر الدين، فرضي الله عنه وأرضاه.

و(**الحسين**): هو الحسين علي بن أبي طالب رضي الله عنهما أخو الحسن، سبط رسول الله صلى الله عليه وسلم وريحانته، وأحد سيدي شباب أهل الجنة بشهادة رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحديث وهو موضع الشاهد.

قال المصنف رحمه الله:

ولا نجزم لأحدٍ من أهل القبلة بجنةٍ ولا نار إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم، لكنا نرجو للمحسن ونخاف على المسيء. ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ولا نجزم**) أي : لا نقطع.

وقوله (**لأحدٍ من أهل القِبلة**) أي: من أمة الإجابة، وقد وضع لها النبي صلى الله عليه وسلم ضابطاً في حديثه عليه الصلاة والسلام:"من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله فلا تُخفروا الله في ذمته"[3]، معناه: ما لم يظهر خلاف ذلك.

وقوله (**بجنةٍ ولا نار**) أي: دخول الجنة أو النار، وذلك لأننا لا نعلم بماذا يُختم له، والأصل في هذا حديث ابن مسعود يرفعه وفيه:" فإن الرجل ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا

---

[1] سنن الترمذي – حديث ٣٧٦٨
[2] صحيح البخاري – حديث ٣٤٣٠
[3] صحيح البخاري – حديث ٣٨٤

ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة، وإن الرجل ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار"[1]، وهذا بالنسبة لأحكام الآخرة، وأما أحكام الدنيا فلا نتوقف بل نعامل كلاً بظاهره.

وقوله (**إلا من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم**) أي: هذا استثناء، فإن من جزم له الرسول صلى الله عليه وسلم بأحدهما شهدنا له، كقوله صلى الله عليه وسلم عن ثابت بن قيس رضي الله عنه:"إنك لست من أهل النار ولكن من أهل الجنة"[2]، وكذلك من جزم القرآن الكريم له بأحدهما كأبي لهب في قوله تعالى: {سيصلى ناراً ذات لهب}[3].

وقوله (**لكنا نرجو للمحسن**) أي: المؤمن الذي عمل الصالحات واجتنب الكبائر الموبقات فإنا لا نجزم له بالجنة، بل نرجو له القبول والجنة تصديقاً بوعد الله تعالى، قال تعالى: {ومن يأته مؤمناً قد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلى}[4]، ووجه الرجاء دون الجزم أننا لا نعلم شيئاً عن القبول.

وقوله (**ونخاف على المسيء**) أي: المؤمن المسيء الذي ارتكب المعاصي والكبائر لا نجزم له بالنار، فإنه في خطر المشيئة إذا مات على كبيرته دون توبة، فإن شاء الله عذبه، وإن شاء عفا عنه.

وقوله (**ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب**) أي: خلافاً للخوارج الذي يكفرون مرتكب الكبيرة بمجرد ارتكابها، ونفي المصنف التكفير عن مرتكب الذنب مخصوصٌ بالذنب غير المكفِّر.

وقوله (**ولا نخرجه عن الإسلام بعمل**) أي: لا ننفي أصل الإيمان عن مرتكب المعصية أو الكبيرة لمجرد ارتكابها، ما لم يكن العمل نفسه مكفِّراً كمن شتم النبي صلى الله عليه وسلم، أو عطَّل التحاكم إلى شرع الله وفرض على الناس التحاكم إلى شريعةٍ وضعيةٍ وضيعة، أو غيره من الأعمال الشركية أو الكفرية كالسجود لصنم أو دعاء غير الله أو الذبح لغير الله ونحو ذلك، كما يخرج من هذا الحكم من عمل بالمعصية مستحلاً لها بل لو استحلها دون عمل كفر.

---

[1] صحيح البخاري – ٣١٥٤، وصحيح مسلم – حديث ٢٦٤٣
[2] صحيح البخاري – حديث ٣٤١٧
[3] المسد - ٣
[4] طه - ٧٥

ومقصود المؤلف الرد على بدعة الخوارج في تكفير مرتكب الكبيرة لمجرد ارتكابها، والرد على المعتزلة الذين نفوا الإيمان عن مرتكب الكبيرة وقالوا هو في منزلة بين المنزلتين وهو قولٌ على الله بغير علم، ومنهج أهل السنة في مرتكب الكبيرة أنه مؤمنٌ بإيمانه فاسقٌ بكبيرته، والله أعلم.

فصل في الإشارة إلى مقاصد تنصيب الإمام العام

قال المصنف رحمه الله:

ونرى الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمامٍ، براً كان أو فاجراً، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة .

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ونرى الحج والجهاد ماضيين مع طاعة كل إمامٍ**) أي: ونعتقد لزوم وصحة كل من الحج والجهاد وغيرها من الأعمال التي تحتاج إلى الإمامة العامة، فلا نعطل الحج والجهاد طالما وجد الإمام الذي يعقد ألويتهما، ويلاحظ أن الجهاد نوعان؛ جهاد طلب يراد منه نشر الدعوة الإسلامية فهذا لا ينعقد بدون إمام، وجهاد دفعٍ يذاد فيه عن حرمات الإسلام وهذا لا شرط له.

وقوله (**براً كان أو فاجراً**) أي: سواءٌ أكان براً عدلاً أم فاجراً فاسقاً ما لم يظهر منه الكفر البواح، وهذا جارٍ مجرى المصلحة العامة وطريق النظر فيه طريق المقاصد والسياسة الشرعية، والنكتة فيه أن فوات هذه المصالح العامة أشد ضرراً على المسلمين من فوات وصف العدالة في الإمام المسلم.

وقوله (**وصلاة الجمعة خلفهم جائزة**) أي: صحيحة، وكذلك سائر الجماعات لقوله صلى الله عليه وسلم:" يصلون لكم؛ فإن أصابوا فلكم، وإن اخطأوا فلكم وعليهم"[1]، وما أجمل ما روى البخاري عن عبيد الله بن عدي بن خيار أنه دخل على عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو محصور فقال: إنك إمام عامة ونزل بك ما ترى، ويصلي لنا إمام فتنة ونتحرَّج، فقال:"الصلاة أحسن ما يعمل الناس، فإذا أحسن الناس فأحسن معهم، وإذا أساؤوا فاجتنب إساءهم"[2]، قلت: لعمري لئن لم يكن هذا هو الفقه، فما الفقه إذاً؟

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٦٦٢
[2] صحيح البخاري – حديث ٦٦٣

فصل في حقوق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله:

ومن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ومحبتهم وذكر محاسنهم ، والترحم عليهم ، والاستغفار لهم والكف عما شجر بينهم . واعتقاد فضلهم ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى: {والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا}[١]، وقال تعالى: {محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}[٢]، وقال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبُّوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه"[٣].

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومِن السنة تولي أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم**) أي: من الدين، فالسنة هنا بمعنى الدين لا بمعنى النافلة، و(**التولي**) من الموالاة أي: النصرة، وهي بالقلب محبتهم وباللسان ذكر محاسنهم وفضلهم والذب عنهم، وبالأركان الاقتداء بهم.

وقوله (**ومحبتهم**) أي: أن محبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من الدين، قال صلى الله عليه وسلم :"آية الإيمان حب الأنصار، وآية النفاق بغض الأنصار"[٤].

وقوله (**وذكر محاسنهم**) أي: الانشغال بذكر مناقبهم والتعرف عليها فإن ذلك مما يزيد المرء حباً لهم ويزيده إيماناً بالله حيث اختار لرسوله صلى الله عليه وسلم هذه الصحبة الفاضلة.

وقوله (**والترحم عليهم**) أي: الدعاء لهم بالرحمة، وهذا من قبيل مقابلة الإحسان بمثله، فإن الله تعالى بلغنا رسالة نبيه صلى الله عليه وسلم – وهي الرحمة المهداة – عن طريقهم، فكان من الإحسان لهم أن ندعو لهم بالرحمة كذلك.

وقوله (**والاستغفار لهم**) أي: طلب المغفرة عما قد زلوا به وهو قليل في مقابل فضلهم وإحسانهم، وفيه فائدة أننا لا نعتقد العصمة لأحدٍ من الصحابة رضوان الله عليهم، فلا عصمة لغير رسول الله

---

[١] الحشر - ١٠
[٢] الفتح - ٢٩
[٣] صحيح البخاري – حديث ٣٤٧٠
[٤] صحيح البخاري – حديث ١٧، وصحيح مسلم – حديث ٧٤

صلى الله عليه وسلم والأنبياء والرسل، خلافاً لبعض المبتدعة الذين يعتقدون العصمة في من يسمونهم الأئمة بل ويجعلونهم فوق مراتب الأنبياء نسأل الله السلامة من ذلك.

وقوله (**والكف عما شجر بينهم**) أي: أننا نترك الخوض فيما اجتهدوا فيه من مسائل السياسة الشرعية فأداهم إلى الاختلاف، فإن ما شجر بين الصحابة منهم من خاض فيه باجتهاده في طلب الحق فهم فيه بين صاحب الأجر والأجرين، ومنهم من اعتزل ذلك ولم يخض في إحدى الطائفتين فالأولى بنا أن نعتزل تلك الفتن ولا نخوض فيها، لا سيما خوض الجاهلين وأهل الأهواء المبتدعين الذين أرادوا أن يتسللوا من هذا الباب لهدم الدين، وقد تقدم معنا حديث النبي صلى الله عليه وسلم في سبطه الحسن رضي الله عنه حيث قال:"ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين"[1]، وقد كان هذا الإصلاح بين الفريقين وقد سماهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمسلمين فما لنا والخوض في ما وراء ذلك؟ وما قصد من يريد إثارة الفتنة بعد أن أصلح بين الفريقين سيدٌ من سادة شباب الجنة الحسن بن علي بن أبي طالب الذي يدَّعون الانتساب إليه رضي الله عنه وأرضاه؟

وقوله (**واعتقاد فضلهم**) أي: جميعاً؛ فالصحابة كلهم مشتركون في أصل فضل الصحبة، ثم هم متفاوتون في الدرجة كلٌ بحسب شدة ملازمته للنبي صلى الله عليه وسلم وأخذه عنه ومتابعة هديه، ونعتقد أن مجرد الصحبة فضلٌ لا يُدرك، فليس من لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم من المسلمين كمن لم يلقه، وهذا يعرفه المحبون مع محبيهم، فكيف نحن مع حبيبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا نعتقد أن بركة رؤيته ولقياه فضلٌ تُرخص فيه الأموال والأولاد؟ فلنعرف لأصحاب الفضل فضلهم، ولنغبطهم على ذلك، ولنتأس بهم فيما هو مقدورٌ لنا ألا وهو التزام هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وسنته التي حفظوها لنا وبلغونا إياها.

وقوله (**ومعرفة سابقتهم**) أي: تقدمهم على غيرهم في الإيمان والعمل، ومتابعتهم على ذلك، وما أحسن قول عبد الله بن مسعود رضي الله عنه حيث قال:" أيها الناس! من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة؛ أولئك أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم، كانوا أفضل هذه الأمة، أبرّها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلّفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم"

---

[1] صحيح البخاري – حديث ٣٤٣٠

وقوله (**قال الله تعالى:{والذين جاؤوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل في قلوبنا غِلاً للذين آمنوا}**[1]): الشاهد منه أن واجب المسلمين من بعد جيل الصحابة الاستغفار لهم، ومعرفة سابقتهم،ومحبتهم.

وقوله (**وقال الله تعالى: {محمدٌ رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم}**[2]): الشاهد منه استحضار معية الصحابة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ووصفهم في القرآن بالتراحم بينهم والشدة على الكفار بالحق، فحريٌ بالمسلمين أن يكونوا كذلك رحماء بينهم – والصحابة أولى من نترحم عليهم – أشداء على الكفار المعاندين، والشدة على الكفار مقصودٌ منها صلاحهم وهدايتهم.

وقوله (**قال النبي صلى الله عليه وسلم: "لا تسبُّوا أصحابي فإن أحدكم لو أنفق مثل أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مدَّ أحدهم ولا نصيفه"**[3]): فيه بيان فضلهم وبيان سابقتهم وأن من جاء بعدهم ولو فعل مثل ما فعلوا فإنهم لا يجاروهم لأن لهم مزية السبق، والشاهد من الحديث تحريم سب الصحابة والتعرض لهم بالنقص، لأنه لا دافع لذلك إلا بغض الدين،

قال الإمام الكبير أبو زرعة الرازي رحمه الله:"إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعلم أنه زنديق، وذلك أن الرسول صلى الله عليه وسلم عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى وهم زنادقة، اهـــ. وليُعلم أن سب صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه محرماً في الشرع فإنه قبيحٌ في العقل، فإن العاقل لا يتعرض بالسب والتجريح لمن كان – بإذن الله – سبباً في نجاته في أمور الدنيا فكيف بأمور الآخرة، فتأمل.

---

[1] الحشر - ١٠
[2] الفتح - ٢٩
[3] صحيح البخاري – حديث ٣٤٧٠

فصل في حقوق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله:

ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم أمهات المؤمنين المطهَّرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق، التي برَّأها الله في كتابه، زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برَّأها الله منه فقد كفر بالله العظيم .

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومن السنة الترضي عن أزواج رسول الله صلى الله عليه وسلم**) أي: من الدين أيضاً اعتقاد فضل أزواج النبي صلى الله عليه وسلم، واعتقاد رضا الله عنهن، والدعاء لهن بذلك، إكراماً لرسول الله صلى الله عليه وسلم وإقراراً بفضلهن.

وقوله (**أمهات المؤمنين**) أي: حرمتهن في نفوس المسلمين كحرمة أمهاتهم، قال الله تعالى: {النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم}[1]، أي في التوقير والاحترام، ولذا حرَّم الله تعالى أن تُنكح نساؤه صلى الله عليه وسلم من بعده، قال تعالى:{وما كان لكم أن تؤذوا رسول الله ولا أن تنكحوا أزواجه من بعده أبداً إن ذلكم كان عند الله عظيماً}[2].

وقوله (**المطهَّرات**) أي: من الأرجاس المعنوية، وذلك إنما كان بالتقوى كما قال الله تعالى:{يا نساء النبي لستنَّ كأحدٍ من النساء إن اتقيتن}[3].

وقوله (**المبرآت من كل سوء**) أي: أن الله تعالى قد اختار لنبيه صلى الله عليه وسلم أزواجه على الصفة اللائقة بمقام النبوة، قال تعالى: {والطيبات للطيبين والطيبون للطيبات أولئك مبرؤون مما يقولون لهم مغفرةٌ ورزقٌ كريم}[4]، وفيه ردٌ على كل من اتهمهن بشيء من القبائح، رضي الله عنهن وأرضاهن.

وقوله (**أفضلهن خديجة بنت خويلد**) أي: أفضل نسائه صلى الله عليه وسلم، وقد شرَّك المصنف في هذه الأفضلية بين أم المؤمنين خديجة وعائشة رضي الله عنهما،

---

[1] الأحزاب - ٦
[2] الأحزاب - ٥٣
[3] الأحزاب - ٣٢
[4] النور - ٢٦

و(**خديجة**) هي: خديجة بنت خويلد الأسدية القرشية، أول من تزوجها النبي صلى الله عليه وسلم، وجميع أولاده صلى الله عليه وسلم منها ما عدا إبراهيم، وهي أول من آمن به مطلقاً، وقد واسته بنفسها ومالها حين خذله الناس، وصدقته حين كذبه الناس، وقالت عائشة رضي الله عنها:" ما غرت على امرأة ما غرت على خديجة من كثرة ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم إياها، قالت: وتزوجني بعدها بثلاث سنين، وأمره ربه عز وجل أو جبريل عليه السلام أن يبشرها ببيت في الجنة من قصب"[١]، وقال صلى الله عليه وسلم:"خير نسائها مريم ابنة عمران، وخير نسائها خديجة"[٢].

وقوله (**وعائشة الصِدِّيقة بنت الصدِّيق**) أي: هي أيضاً أفضل نسائه على ما اختاره المصنف من التشريك بينها وبين خديجة في الأفضلية لما تميزت به كل منهما من المناقب الخاصة،

و(**عائشة**) هي: عائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما، قال صلى الله عليه وسلم:"كمُل من الرجال كثير، ولم يكمل من النساء إلا آسية امرأة فرعون ومريم بنت عمران، وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام"[٣].

وقوله (**التي برَّأها الله في كتابه**) أي: عائشة هي التي نزل القرآن بتبرئتها مما قُذفت به من الفاحشة حاشاها، وكان ذلك ابتلاءً ومحنة من الله تعالى ما زادها إلا شرفاً حيث أنزل الله تعالى فيها قرآناً يُتلى، وتأمل عبوديتها وتذللها رضي الله عنها بين يدي الله تعالى حيث قالت:"ولكني والله ما كنت أظن أن الله يُنزل في براءتي وحياً يُتلى، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله فيَّ بأمرٍ يُتلى، ولكني كنت أرجو أن يرى رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها، فأنزل الله تعالى {إن الذين جاؤوا بالإفك}[٤] العشر الآيات"[٥]، فرضي الله عنها وأرضاها.

وقوله (**زوج النبي صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة**) أي: عائشة، وليس الحكم خاصاً بها بل كل أزواجه صلى الله عليه وسلم، ولكن نعتها المصنف بذلك في سياق الرد على أهل البدع الذين يقذفونها بما برأها الله منه.

وقوله (**فمن قذفها بما برَّأها الله منه فقد كفر بالله العظيم**) أي: من قذفها بعد أن نزلت براءتها في القرآن، فأهل البدع الضالون الذين يرمون عائشة رضي الله عنها بالفاحشة مكذبون للقرآن ومكذبون لله تعالى فهم كفار، فمن قذف عائشة رضي الله عنها بالفاحشة كافر بالله العظيم لأنه مكذِّبٌ لله تعالى.

---

[١] صحيح البخاري – حديث ٣٦٠٦
[٢] صحيح البخاري – حديث ٣٢٤٩
[٣] صحيح البخاري – حديث ٣٢٣٠، وصحيح مسلم – حديث ٢٤٣١
[٤] النور - ١١
[٥] صحيح البخاري – حديث ٧٠٦١

فصل في فضل معاوية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم

قال المصنف رحمه الله:

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**ومعاوية خال المؤمنين**) أي: معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه وأرضاه، صحابيٌ جليل،

وقوله (**خال المؤمنين**) لأنه أخو زوج النبي صلى الله عليه وسلم رملة بنت أبي سفيان رضي الله عنها وأرضاها،

وقوله (**وكاتب وحي الله**) أي: أنه كان ممن يكتبون الوحي بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهذا يدل على أمانته رضي الله عنه.

وقوله (**أحد خلفاء المسلمين رضي الله عنهم**) أي: أن خلافته خلافة شرعية صحيحة، وإن لم تكن امتداداً للخلافة الراشدة كما تقدم، ولقد ذكر المصنف معاوية رضي الله عنها بسبب وقوع أهل البدع فيه بما لا يليق بمترلة الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فصل في حقوق الإمام العام وعُمَّاله

قال المصنف رحمه الله:

ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين وأمراء المؤمنين – برّهم وفاجرهم – ما لم يأمروا بمعصية الله، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله. ومن ولي الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة، وسمي أمير المؤمنين، وجبت طاعته وحرمت مخالفته والخروج عليه وشق عصا المسلمين.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله **(ومن السنة السمع والطاعة لأئمة المسلمين)** أي: ومن الدين أن نطيع الإمام الأكبر للمسلمين، قال الله تعالى:{يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيءٍ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خيرٌ وأحسن تأويلاً}[1].

وقوله **(وأمراء المؤمنين)** أي: جمع أمير، وهم الذين يوليهم الإمام الأكبر أو الخليفة، فهم وكلاؤه في إقامة شؤون الحكم، وطاعتهم طاعة للخليفة، وهذه الولايات مسؤولية الخليفة أمام الله عز وجل فعليه أن يتقي الله فيمن يوليه على الرعية،

وقد خطب عمر بن الخطاب فقال:" ألا إني والله ما أبعث إليكم عمالاً ليضربوا أبشاركم ولا ليأخذوا أموالكم، ولكن أبعثهم إليكم ليعلموكم دينكم وسنتكم، فمن فُعل به سوى ذلك فليرفعه إلي، فوالذي نفسي بيده لأقصنَّه منه. فوثب عمرو بن العاص فقال: يا أمير المؤمنين! أرأيت إن كان رجلٌ من المسلمين على رعية فأدب بعض رعيته، إنك لمقصُّه منه؟ قال: أي والذي نفس عمر بيده لأقصنَّه منه، أنا لا أقصه منه؟ وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقصُّ من نفسه، ألا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم، ولا تمنعوهم من حقوقهم فتكفِّروهم، ولا تجمِّروهم[2] فتفتنوهم، ولا تنزلوهم الغياض[3] فتضيعوهم".

---

[1] النساء ـ ٥٩
[2] تجمروهم: اي تحبسوهم في الثغور لفترات طويلة بعيداً عن أهلهم
[3] الغياض: جمع غيضة وهي الأكمة أو الغابة، أي لا تنزلوا بهم منازل تعرضهم للهلاك

وقوله (**برّهم وفاجرهم**) أي: البر العدل، والفاجر الفاسق، أي سواء أكان الإمام أو الأمير براً أو فاجراً فإنه يُطاع في أمور السياسة الشرعية فيما لا معصية فيه، ففسقه على نفسه، وسياسته للمسلمين، ومدار الأمر على احتمال أدنى المفسدتين وهو فسق الأمير في نفسه درءاً لأكبرهما وهي فساد المصالح العامة للمسلمين التي لا تقوم إلا بالإمامة والإمارة،

وقوله (**ما لم يأمروا بمعصية الله**) أي: إذا أمروا بما فيه معصية الله فلا تجوز طاعتهم فضلاً عن أن تجب، وقوله معصية الله يتضمن معصية رسوله صلى الله عليه وسلم لأن من عصى الرسول صلى الله عليه وسلم فقد عصى الله تعالى.

وقوله (**فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله**) أي: إن الطاعة في معصية الله ورسوله صلى الله عليه وسلم حرام لا تجوز، كائناً من كان الآمر بالمعصية.

وقوله (**ومن ولي الخلافة**) أي: تمت له البيعة بتعيين الإمام السابق.

وقوله (**واجتمع عليه الناس ورضوا به**) أي: تمت له البيعة باختيار أهل الحل والعقد – وهي البيعة الخاصة – ثم أُخذت له البيعة العامة.

وقوله (**أو غلبهم بسيفه حتى صار الخليفة**) أي: قهرهم بالقوة وتمكن من الحكم.

وقوله (**وسمي أمير المؤمنين**) أي: بأي صورة من الصور الثلاث التي تحصل بها الخلافة وهي: التعيين ويسميه البعض الاستخلاف، أو اختيار أهل الحل والعقد أو الغلبة بالقوة.

وقوله (**وجبت طاعته**) أي: استقر له وصف الإمامة الكبرى التي تستوجب الطاعة فيما لا معصية فيه.

وقوله (**وحرمت مخالفته**) أي: لا يجوز مخالفته فيما ليس فيه معصية.

وقوله (**والخروج عليه**) أي: بالسيف والقوة، وهو ما استقر عليه الأمر عند أهل السنة فلا يخرج على الإمام المسلم الفاسق درءاً للمفسدة الكبرى من التهارج وسفك الدماء وترويع الأمن، وهذا لا يمنع من مناصحته والإنكار عليه بالقلب واللسان ابتغاء الإصلاح لا ابتغاء الفتنة.

وهنا مسألة مهمة وهي الفرق بين ترك الخروج على الحاكم المسلم الفاسق وبين ترك الخروج على الحاكم الكافر أو المرتد؛ والفرق بينهما:

- أن ترك الخروج على الحاكم المسلم الفاسق يبقى معه عقد الإمامة فلا يحل للمسلم أن ينفك عنها وإلا مات ميتة جاهلية، ودليل هذا قوله صلى الله عليه وسلم:"إنه يُستعمل عليكم أمراء، فتعرفون وتُنكرون، فمن كرِه فقد برئ، ومن أنكر فقد سلِم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله، ألا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلُّوا لكم"[1]، قال النووي رحمه الله:"أنه لا يجوز الخروج على الخلفاء بمجرد الظلم أو الفسق ما لم يغيروا شيئاً من قواعد الإسلام"،

---

[1] صحيح مسلم – حديث ١٨٥٤

قلت: فذكر الصلاة ليس للحصر، بل هو إشارة إلى بقاء وصف الإسلام لهم،والحاصل أن الخروج على الحاكم المسلم الفاسق لا يجوز أصلاً والبيعة صحيحة ملزمة، وللمسلمين نفعه وعليه فسقه،

- وأما ترك الخروج على الحاكم الكافر أو المرتد فليست لهذا الحاكم بيعة أصلاً وترك الخروج عليه ليس هو الأصل ولكن مردُّه إلى المصلحة الشرعية لجماعة المسلمين من حيث حقن دمائهم، وعليهم أن يعملوا على استكمال أسباب القوة التي تعين على قهره بأقل ضرر ممكن على المسلمين، ولكن لا يجوز أن يعتقدوا إمامته أو بيعته، قال القاضي عياض:" أجمع العلماء على أن الإمامة لا تنعقد لكافر، وعلى أنه لو طرأ عليه الكفر انعزل، قال: وكذا لو ترك إقامة الصلوات والدعاء إليها"، وقال القاضي:" فلو طرأ عليه كفر وتغيير للشرع أو بدعة خرج عن حكم الولاية وسقطت طاعته، ووجب على المسلمين القيام عليه وخلعه، ونصب إمام عادل إن أمكنهم ذلك، فإن لم يقع ذلك إلا لطائفة وجب عليهم القيام بخلع الكافر"، فقوله رحمه الله "إن أمكنهم" يدلك على أن ترك الخروج مرده إلى الاستطاعة، وأنه تركٌ مؤقت ريثما تتحقق الاستطاعة، وأن المسلمين مخاطبون بأخذ أسباب ذلك، وبهذا يتبين لك الفرق بين ترك الخروج على الحاكم المسلم الفاسق فهو لعدم الجواز أصلاً والبيعة باقية وملزمة، وبين الخروج على الحاكم الكافر أو المرتد فإنه واجبٌ بالإجماع وإنما قد يُترك لعدم القدرة وعندها يتوجه الخطاب بالوجوب إلى الأخذ بأسباب القدرة والقوة على ذلك، فتأمل الفارق فإنه عظيم.

وعليه فلا يحل للعلماء اليوم أن يدعوا الناس إلى طاعة الحكام المتلبسين بالكفر أو الردة، كأن يكون الحكام نصرانياً أو يكون علمانياً معطلاً للتحاكم إلى شرع الله، أو ملحداً يحارب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وفرق بين ترك الخروج للمصلحة العامة وبين دعوة المسلمين إلى بيعة وطاعة من لا تحل بيعته وطاعته.

وقوله (**وشق عصا المسلمين**) أي: جماعتهم، فلا يجوز الخروج على جماعة المسلمين وإحداث الفتن بينهم، وترويع أمنهم، والله أعلم.

فصل في التعامل مع أهل البدع والإشارة إلى أصولهم البدعية

قال المصنف رحمه الله:

ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدَثة في الدين بدعة، وكل متسمٍ بغير الإسلام والسنة مبتدع، كالرافضة والجهمية والخوارج والقدرية والمرجئة والمعتزلة ونظائرهم، فهذه فرق الضلال وطوائف البدع، أعاذنا الله منها.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله **(ومن السنة هجران أهل البدع ومباينتهم)** أي: ومن الدين إيقاع عقوبة الهجر الشرعية على أهل البدع الذين يُحدثون في دين الله ما ليس منه،

والهجر الشرعي نوعان: هجر وقاية وهجر نكاية:

- فهجر الوقاية المقصود منه ترك المسلم أهل البدع وعدم الإصغاء إليه ولا لشبهاتهم صيانةً لدينه من أن يلتبس بشيء من شبهاتهم.
- وهجر النكاية نوع من العقوبة للمبتدع أو العاصي حتى يرتدع ويترجر عن بدعته ومعصيته.

وعليه فإن هجر الوقاية يلائم المسلم في كل حال صيانةً لدينه عما يفسده، وأما هجر النكاية فيدور مع المصلحة فإن كانت المصلحة في هجر المبتدع هُجر، وإن كانت المصلحة في مداراته وتألفه حتى يعود إلى الحق أو كانت المصلحة في التعاون معه على طاعةٍ أهم أو لدفع خطرٍ أكبر فالواجب التعاون معه وترك التعرض لبدعته ومعصيته، ويرجع في هذا إلى أهل العلم الثقات العالمين بأحوال المجتمع المسلم في حينه، ولعل من أهم الأمثلة على ذلك اليوم مسألة التعاون مع من تلبس بشيء من البدعة أو المعصية للوقوف في وجه عدوٍ كافرٍ فهذا بلا شك أولى من هجر المبتدعة والعصاة، كما أنه لا يستلزم إقرارهم على بدعتهم أو معصيتهم، وهذا فقهٌ عظيم يُحتاج إليه، والعمل فيه كعمل الطبيب مع المريض حيث يلتفت إلى الأهم فالمهم، ويتعاطى الدواء المر بقدره الذي يُحتاج إليه، ويتألف مريضه بما يصلح حاله مستعيناً بالله تعالى مبتغياً وجهه الكريم مدارياً غير مداهنٍ، وناصحاً غير قاضٍ، وحباً في الله غير حاقد، متمنياً لكل إنسان من الخير ما يتمناه لنفسه، والله أعلم.

وقوله (**وترك الجدال والخصومات في الدين**) أي: أن الأصل ترك الجدال، قال تعالى: {سيقولون ثلاثةٌ رابعهم كلبهم ويقولون خمسةٌ سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعةٌ وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم ما يعلمهم إلا قليل فلا تمارِ فيهم إلا مراءً ظاهراً ولا تستفت فيهم منهم أحداً}[1]، ويستثنى منه ما كان جدالاً بالتي هي أحسن كما قال تعالى: {ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أُنزل إلينا وأُنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحدٌ ونحن له مسلمون}[2]، وتأمل الفرق بين الجدال المنهي عنه لأنه جدال بغير علم فيما لا طائل من وراءه، وبين الجدال بالتي هي أحسن بالعلم الصحيح الذي يراد منه الدعوة إلى التوحيد الخالص، وتأمل كيف أن الآية أذنت بجدال أهل الكتاب بالتي هي أحسن واستثنت منهم الظالمين، وبهذا يتبين فساد منهج من يدعو للحوار مع أهل الكتاب الظالمين المعتدين على حرمات المسلمين، فهؤلاء ليسوا داخلين في الإذن بالجدال بالحسنى، فتنبَّه! ولله در الشاعر:

ووضع الندى في موضع السيف بالعلا   مضرٌ، كوضع السيف في موضع الندى

وقوله (**وترك النظر في كتب المبتدعة**) أي: لا يقرأ كتبهم، وهذا من هجر الوقاية لأن المرء لا يأمن على نفسه أن يتأثر بهم، ولقد رأينا في زماننا هذا ما يصيب الشباب المسلم في عقله جراء قراءة كتب الإلحاد المادية والشيوعية وما يدخله ذلك عليهم من فساد في دينهم وعقولهم، فالسلامة كل السلامة أن تنأى بنفسك عن هذه الكتب وتنشغل بكتاب الله تعالى: وقديماً قال الشاعر:

إن السلامة من سلمى وجارتها   ألا تمر على حالٍ بواديها

وقوله (**والإصغاء إلى كلامهم**) أي: الاستماع إلى حديثهم فيما يتعلق ببدعتهم، قال سفيان الثوري رحمه الله:"من أصغى بأذنه إلى صاحب بدعة خرج من عصمة الله ووُكل إليها"، يعني البدع. وهجر الوقاية في زماننا هذا يمتد ليتناول كل وسائل الإعلام المسموم المقروء والمرئي والمسموع الذي يبث فيه عدونا الشبهات المضلات فليحذر المسلم منها كل الحذر قبل أن تفسد عليه دينه.

وقوله وكل (**محدَثة في الدين بدعة**) أي: أن هذا الحكم في وجوب هجر الوقاية عام في كل البدع والمحدثات، فلا يستهينن المسلم بشيء منها، ولا يمكنن لها أذنه فتتمكن من قلبه.

وقوله (**وكل متسَمٍّ بغير الإسلام والسنة مبتدع**) أي: أن من جاءنا بأسماء ومصطلحات جديدة غير موجودة في الشرع فقد جاءنا بأصلٍ جديد غير موجود في الشرع، فيجب الحذر منه فإنه مبتدع، وسيذكر المصنف أمثلةً على بعض أهل البدع والأهواء تسموا بأسماء تدل على أصولهم البدعية التي فارقوا بها جماعة المسلمين، وفرقوا بها بينهم وشقوا صفوفهم، فالسلامة كل السلامة في ركوب سفينة السنة فإنها والله مركب النجاة لا غير.

---

[1] الكهف - ٢٢
[2] العنكبوت - ٤٦

وقوله (**كالرافضة**) أي: الذين فارقوا جماعة المسلمين بأصلٍ بدعي يتعلق بالإمامة وما تفرع عليه من غلوهم في آل بيت النبي صلى الله عليه وسلم وجفاؤهم ورفضهم لصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين من يرميهم بالفسق ومن يرميهم بالكفر حاشاهم، أما منهج أهل السنة فهو على الوسطية والاعتدال؛ فنعرف لآل البيت حقهم دون إفراط وغلو، ونعرف للصحابة فضلهم دون تفريط وإساءة، ولا نبتدع أصلاً نوالي ونعادي عليه لم ينزل في كتاب الله ولم يشرعه رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا نجعل الإمامة التي هي من مسائل السياسة الشرعية معقداً للإيمان والكفر.

وقوله (**والجهمية**) أي: المنسوبين إلى الجهم بن صفوان، وأصلهم البدعي الذي فارقوا به جماعة المسلمين تعطيلهم صفات الله عز وجل ونفيها، وهم جبرية في القدر ينفون أن يكون للإنسان فعل أو إرادة، وهم مرجئة في الإيمان يُخرجون العمل عن مسمى الإيمان، أما منهج أهل السنة فهو الوسط الخيار حيث نثبت صفات الله تعالى التي أثبتها لنفسه أو أثبتها لها رسوله صلى الله عليه وسلم دون تشبيه بصفات المخلوقين، وننزهه عن مشابهة الخلق دون تعطيل تلك الصفات.

وقوله (**والخوارج**) أي: الذي خرجوا على جماعة المسلمين بأصلهم البدعي في مسألة الإيمان حيث يعتقدون تكفير مرتكب الكبيرة لمجرد ارتكابها ويستحلون بذلك دمه ويعتقدون خلوده في النار، ومنهج أهل السنة هو الوسط الخيار في هذه المسألة حيث إن الإيمان يزيد وينقص بالطاعة والمعصية، فمرتكب الكبيرة غير المستحل لها مؤمن بإيمانه فاسقٌ بكبيرته وهو في خطر المشيئة إن مات ولم يتب إن شاء الله عذبه وإن شاء عفا عنه.

وقوله (**والقدَرية**) أي: الذين أثبتوا للعبد قدرةً مستقلة عن قدرة الله، ونفوا خلق الله تعالى للشر وللمعصية، ونفوا علم الله تعالى السابق لوقوع الأفعال، وهم بأصلهم البدعي هذا قد خالفوا جماعة المسلمين وفارقوهم، ومنهج أهل السنة أن الله تعالى خالق كل شيء، وأن للعبد قدرة وإرادة أقدره الله عليها وأنه بقدرته وإرادته لا يخرج عن قدرة الله تعالى وإرادته الكونية وإن خالف أمره الشرعي لحكمة الابتلاء والجزاء.

وقوله (**والمرجئة**) أي: الذين أرجأوا العمل أي أخروه عن مسمى الإيمان، فالإيمان عندهم شيء واحد يتساوى فيه الخلق جميعاً، فإيمان الزاني المرابي شارب الخمر المضيع للصلاة والصيام والزكاة كإيمان الملائكة والرسل والصديقين والصالحين، ومنهج أهل السنة أن الإيمان قول وعمل بالقلب واللسان والجوارح، يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، وأن مجرد التصديق أو المعرفة لا يكفي لانعقاد الإيمان بل لا بد مع التصديق من الانقياد للشرع، فإن إبليس يعرف أن الله تعالى هو الرب الخالق ولكنه ليس بمؤمنٍ قطعاً لأنه استكبر عن الانقياد للشرع، فتنبَّه!

وإن شئت قلت: إن توحيد الربوبية لا يحصل به الإيمان حتى يتحقق معه توحيد الألوهية، والله تعالى أعلم.

وقوله (**والمعتزلة**) أي: الذين فارقوا جماعة المسلمين في مسائل منها ما يتعلق بمسمى الإيمان وقالوا إن مرتكب الكبيرة لا هو مؤمن ولا هو كافر بل هو بين المترلتين فجاؤوا بما لم يأت به الله، ويتميزون بمنهجهم الفكري في تقديم العقل على النقل وتحكيم العقل في النقل، وأهل السنة على الوسط حيث يقدمون نصوص الوحي الصحيحة ويعملون العقل في التدبر فيها والفهم للعمل لا للتحكم.

وقوله (**ونظائرهم**) أي: كل من فارق المسلمين بأصل بدعي، ومنها اليوم العلمانية التي تفصل الدين عن الدنيا وتحاكم الناس إلى شرائع وضعية وضيعة ما أنزل الله بها من سلطان، وكالدعوة إلى توحيد الأديان والدعوة إلى اتخاذ القومية والوطنية معاقد للولاء والبراء وغيرها من الأصول المبتدّعة الضالة.

وقوله (**فهذه فرق الضلال وطوائف البدع، أعاذنا الله منها**) أي: هذه أصولها وقد تفرقت كل منها فرقاً كثيرة، والسر في هذا أن طريق الحق واحد، وأن طريق الباطل متعدد تعدد الأهواء والشبهات.

فصل في الاختلاف الجائز بين الأئمة المجتهدين

قال المصنف رحمه الله:

وأما بالنسبة إلى إمامٍ في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمةٌ واسعة، واتفاقهم حجةٌ قاطعة.

الشرح:

قول المصنف رحمه الله (**وأما بالنسبة إلى إمامٍ في فروع الدين**) أي: أن الانتساب إلى إمام من أئمة الفقه المجتهدين في فروع الدين التي يسميها البعض بالعمليات كأنواع العبادات والمعاملات التي فيها مساغ للاجتهاد، وهو انتساب متابعة في الاجتهاد لا انتساب ولاء وبراء وعصبية وانتماء فتنبه للفارق.

وقوله (**كالطوائف الأربع**) أي: الحنفية والمالكية والشافعية والحنابلة رحمة الله على الجميع.

وقوله (**فليس بمذموم**) أي: لا ينكر على فاعله، ولا يعتبر من التفرق في الدين طالما كان بضوابطه وهي ترك التعصب لقول الإمام إذا ظهر الدليل بخلافه، وعدم اتخاذ الانتساب لمجتهد في الفقه معقداً للولاء والبراء.

وقوله (**فإن الاختلاف في الفروع رحمة**) أي: أنه من مظاهر سعة الدين ورحمته بالعباد أن وضع لهم الأصول والقواعد وترك لأهل العلم المؤهلين المجال للاجتهاد والاستنباط الفقهي في النوازل الحادثة، قال تعالى: {وإذا جاءهم أمرٌ من الأمن أو الخوف أذاعوا به ولو ردّوه إلى الرسول وإلى أولي الأمر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم ولولا فضل الله عليكم ورحمته لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً}[1].

وقوله (**والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم**) أي: لأنهم يتحرون الحق ولا يتحرون نفس الخلاف،

وقوله **مثابون في اجتهادهم** أي: أن لهم أجراً على عملهم في فهم حكم الله تعالى فيما فيه نص وفي استنباط حكم الله تعالى فيما لا نص فيه، قال صلى الله عليه وسلم :"إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإذا حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر"[2].

---

[1] النساء - ٨٣

[2] صحيح البخاري – ٦٩١٩، وصحيح مسلم - ١٧١٦

وقوله (**واختلافهم رحمةٌ واسعة**) أي: لأنه يسع الناس باختلاف أحوالهم وأعرافهم.

وقوله (**واتفاقهم حجةٌ قاطعة**) أي: لأن الأمة معصومة عن أن تجتمع على باطل كما تقدم.

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات برحمته وفضله، آمين. وهذا آخر المعتقد، والحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً.

فهرس المواضيع

الموضوع	الصفحة
مقدمة الاختصار	١
مقدمة في الثناء على الله تعالى	٢
فصل في توحيد الأسماء والصفات	٤
فصل في حجية القرآن والسنة	٦
فصل في التأويل المذموم	١٠
فصل في منهج فهم نصوص الوحي	١٢
فصل في الحث على الاتباع والتحذير من الابتداع في الدين	٢٠
فصل في المناظرة مع أهل البدع	٢٥
فصل في ذكر بعض آيات الصفات	٢٨
فصل في ذكر بعض أحاديث الصفات	٣٠
فصل في أن الخوض فيما استأثر الله بعلمه بدعة	٣٢
فصل في إثبات صفة الكلام لله تعالى	٣٤
فصل في القرآن الكريم وأنه كلام الله	٣٦
فصل في تقديم تدبُّر القرآن على حفظ حروفه	٤١
فصل في الإيمان بالقدر	٤٣
فصل في تعريف الإيمان وأركانه	٤٨
فصل في تقديم النقل على العقل	٥٤
فصل في بعض الغيبيات الثابتة بالنقل الصحيح	٥٦
فصل في بعض خصائص رسول الله صلى الله عليه وسلم	٧٠
فصل في بعض فضائل الخلفاء الراشدين	٧٤
فصل في أن أسماء الدين على الظاهر ولا يعلم الباطن إلا الله	٨٠
فصل في الإشارة إلى مقاصد تنصيب الإمام العام	٨٥
فصل في حقوق صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم	٨٦
فصل في حقوق أزواج النبي صلى الله عليه وسلم	٨٩
فصل في فضل معاوية صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم	٩١
فصل في حقوق الإمام العام وعُمَّاله	٩٢
فصل في التعامل مع أهل البدع والإشارة إلى أصولهم البدعية	٩٥
فصل في الاختلاف الجائز بين الأئمة المجتهدين	٩٩